

المقطف

الجزء الخامس من المجلد العاشر بعد المئة

١٠ مايو سنة ١٩٤٧

١٩ جمادى الثاني سنة ١٣٦٦

وطننا الشرق

الساکت علی الحق شیطان أخرس . صدق رسول الله .
وأهد ما يكون السکوت علی الحق خطراً علی مستقبل الأمم ، أن یروح زعماءها
بغرونها بأنها فی سبیل النجاح وهي فی الواقع فی سبیل الانحلال والضعف .
خطأ أن تقاس عظمة الأمم بعدد الأفراد أو بالثروة أو بالبنیة والمأثر ، إذا كانت نفوس
الأفراد خراباً ، إلا من أوهم العظمة ، وخیالات القوة والفتوة ، وفتنة المظاهر المرئية ،
ومن وراء جماع هذه المظاهر انحلال یعمل جمیع المرافق ، وبخاصة انحلال فی العقلية
وانحلال فی الفکر ، وانحلال فی الأخلاق .

حفنة من المقدونین فتحوا العالم ، ودوخوا الشرق برمتیه فی زمان الإسکندر
المقدونی . ودوخوا هانیبال رومية العظمی بجیش خلیط من القراطجة والغال والنومیدیین
وأهل إسبانيا ، وكاد یقضي علی مجد الدولة الرومانية . وبضعة آلاف من العرب فتحوا الدنیا
من نهر السند الی بحر الظلمات . وفی العصر الحديث حکمت بریطانيا خمس العالم ، والإیچلیز
لا یتجاوزون الأربعین ملیوناً من الانفس .

آیه ذلك كله أن نفوساً حائرة تستعبد نفوساً خربة ، وأن أخلاقاً متمسكة تستعوی علی
أخلاق منحلة ، وعقولا تفکر تخضع عقولا جامدة ، وأفكاراً مألوفة تستلبي علی الأرضیات .

ونحن الشرقيين في هذا الطور الذي هو في الواقع طور انقلاب حقيقي ، إنما نتوهم أننا
نتطور الى الاصلح ، وإننا نقتدي بالمثل وننتفع بالمثلات ، في حين أن العالم يجرنا وراءه جرًّا
ويشدنا الى عجلته شدًّا ، كأننا الصخور لا تتحرك إلا بالدفع القوي الشديد ، وكأننا الموتى
ينقلهم الأحياء ، أو الدمى تتلاعب بها الأيدي ، أو الكرات تتدافعها صوألجة الفرسان ،
أو علامات صم تحرّكها أيدي اللاعبين على رقعة الشطرنج .

ما أردت بهذا تسفيها ، ولا أردت به تثبيطاً لهم ولا قتلاً للحوافر . وإنما أريد به
أن أرفع عن الحقائق خمار الباطل ، وأن أفتح العيون على الوقائع كما هي كائنة ، لا كما
تصورها لنا الأوهام . وفي هذا وحده يك الحياة الأمية وقوة المعبود : إن أرادت الحياة
واجهت الحق ومضت الى الحقيقة ، فخرت من قواها وحدثت من كامن عنفوانها ما تستعوى
به على أسباب الضعف .

هذه فلسطين تأكلها الصهيونية ، وتسهر على قتلها قوى اليهودية في أنحاء العالم ، ونحن
نسبح في أحلام . يقول المسلمون منّا أن أمة محمد بخير . ويقول النصارى إن الأمر لله .
نعم أن أمة محمد بخير ما دامت تأكل وتشرب ، وإن أكلت التراب وشربت الكدر . ونعم
مرة أخرى أن الأمر لله ، ولكن أمر الله في هذه الدنيا مع الأقوياء ، لا مع المستذللين
الخوارين ، الذين تنفجر في حجورهم قنابل الصهيونية ، وهم على صلواتهم ماكفون ، كأنما
هذه الدنيا صلاة وصوم وزكاة ولا شيء غير هذا . وما كان الدين إلا سبيلاً للقوة ، وما
كانت العقيدة إلا أداة الحرية والاستقلال والتنعم بمنايا الحياة .

وهذا شمال أفريقيا تدرس بريطانيا في شرقيه أصبعها المسمومة ، وتضحك فرنسا على
ذقون أهل الجزائر وتونس ومراكش ، وتعمل على تفرقة هؤلاء العرب ، والعالم العربي كله
واقف ينظر كأن هذه الدنيا لا تحف به ، وكأن أهل هذه البلاد من المريح أو من زحل .

قطعت فرنسا بين أهل شمال أفريقيا وبين العالم العربي كل صلة . فلا تدخل هنالك مجلة
أو كتاب أو صحيفة إلا مهربة ، كأن العقل العربي في غير تلك البلاد لا يُنتج إلا مموماً
تخشى فرنسا أن تسمم أهل المغرب الأقصى حنوًّا منها وعطفًا وإشفاقًا . ويدخل مصر ،
قلب العالم العربي ، ثمانين صحيفة فرنسية كلها سم زفاف ، وكل دحايات سياسية وغير سياسية

وكلمها بخور وإثم ، وإثارة للشهوات الخسيسة ، ونحن وقوف ننظر كأن الأمر لا يعنيننا في شيء .

وفي مصر ، ومنها يتطرق الأثر إلى العالم العربي ، صحافة تمثل مناطق النفوذ الدولي في هذه البلاد ، وثمت في غيرها من أرجاء الشرق ، فهذه صحافة للدعاية الأمريكية ترمينا بكل جائحة نكراء ، وداهية ليلاء ، من غنائات ما يلقي به الغرب في سلة المهملات ، فيصيب من أخلاقنا انحلالاً ، ومن جيوبنا ثروات ، وتلك صحف أخرى تروج لفرنسا الغاشمة الآثمة الممتهدة على شرف العرب وحرية العرب ، تلك الدولة التي تحاول فرنسا شمال أفريقيا وقتل العربية والاسلام في نفوس ناشئتها وجعلها ولايات فرنسية تمثل في برلمان فرنسا ، وتدين بأدب فرنسا ، وما تعد فرنسا من هذه البلاد إلا رجلاً تقودهم الى القتل في ميادين الحرب دفاعاً عن أرضها فيذهبون فدية لأبنائها ، فيراق الدم السامي الذميم ، فداء لدم اللاتيني الكريم . وهذه انجلترا تتغلغل بدعايتها السامة في جسم الشرق فتتصر حزباً على حزب ، وطائفة على طائفة ، وتلعب بعقول أولاء وهؤلاء ، ومن وراء ذلك كله مصالح انجلترا لا تعرف في سبيلها ذمة ولا شرفاً ولا وفاء ، وتجد منا من يقولون إنهم شرفاء ، وإنهم معقولون ، وزاد الطين بلة أن هؤلاء الشرفاء المعقولين قد رموا الشرق بكل أفاق مجرم من أهل شرق أوروبا الدائنين بالصهيونية وأسكنوهم فلسطين التي هي كبد الشرق ونور عينه المبهصرة ، زاعمين أن هؤلاء القتل السفاحين مظلومين مشردين ، فباسم الانسانية ينصفون ، ولكن بقطعة من أرض العرب وعلى حساب العرب . على أن هؤلاء إنما ينظرون إلى شرق الأردن باعتباره فلسطين الشرقية وإلى لبنان والشام باعتبارهما فلسطين الشمالية ، وإلى بلاد العرب والعراق ومصر باعتبارهما مناطق النفوذ الصهيوني . ومع قيام كل هذه الحقائق التي تدمغ جبين أعق الناس لاحق ، تحاول بريطانيا أن تثبت من أقدامهم ، وأن توثق لهم في فلسطين ولو جلد ضباطها وخفف نضاتها جبهة من منصّة العدل في رائحة النهار ، ولو عجزت عن تنفيذ حكم الاعدام في مجرم قضت العدالة بأنه عضو فاسد في جسم الجماعة الانسانية ، وتقف مترددة بين أن تقدم وبين أن تتحجم ، كأنما هذه الصهيونية هوة سحيقة تكاد تبتلّم من ؟ تتابع بريطانيا . كلا ، وإنما هي

السياسة التقليدية ، سياسة الجور والعدوان والظلم الصارخ والافك الموروث . سياسة شرق
يؤكل وغرب يأكل .

ليس كلامنا هذا يحتاج الى دليل منطقي وقد قامت عليه الأدلة المادية تؤيده وتدفع
عنه الشبهات . هو الحق الصارخ المدوي : والساكت على الحق شيطان أخرس .
أنظر ماذا يقول الصهيونيون ^(١) .

« لا نقاتل في سبيل تحقيق حصنة معينة من الهجرة اليهودية ، بل نرجم الى تحقيق
الهدف التاريخي الذي تتوخاه أمتنا : وهو تحرير أرضنا من الحكم الاجنبي » .

١ — أصبح هؤلاء وطن يريدون تحريره من نير الحكم الاجنبي : بالطبع حكم العرب وحكم الانجليز .
هل سمعتم أيها العرب بسفاهة تملو هذه السفاهة . أو وقاحة تبذ هذه الوقاحة ؟ أو رأيتم وحوشاً كواسر
تود أن تلغ في دماء العرب ، أشد من هؤلاء اقتراساً أو لصواً أنهم لصوصية ؟
يقولون :

« إن صداقة الشعب البريطاني لأمتنا أسطورة تمزقت إرباً في هذا الجيل ولا سيما في
أثناء إبادة ستة ملايين يهودي في أوروبا .

٢ — الانجليز الذين طادوا العرب وقبوا ثورتهم الحقة بكل سلاح دفاعاً عن اليهود والصهيونيين قبيل
الحرب العظمى ، الانجليز الذين لما شملكم على حساب العرب ، وأسكنوكم أرض العرب عدواناً وظلماً ،
الانجليز الذين وضوا السلاح في أيديكم لتقتلوا العرب وتمزقوا عنوة أرض العرب ، تمزقت صداقتهم
بالنسبة اليكم في هذا الجيل . لماذا ؟ لأنهم لم يحولوا بن هتلر وقتل ستة ملايين يهودي . ولكن استقوا أيها
الصهيونيون أحلافكم القدماء وأعداءكم اليوم هذه الكأس المرة ، فأنهم ولا شك يستحقون ما هو أمر
منها مذاقاً .

يقولون :

« سنعمل على مواصلة النضال فيما وراء حدود فلسطين . طبيعي أن نستمر على الهجرة
غير المشروعة .

(١) نقلت الصحف أن مراسل وكالة « اليونايتد برس » وجه الى الارهابيين في فلسطين أسئلة تأتي عنها
ردوداً تقتطف منها هنا ما نعلق عليه . الامرام ١ / ١ / ١٩٤٧

٣ — معنى هذا أيها العرب أن البحر وراءكم والعدو أمامكم ، الصهيونيون يتطلعون الى ما وراء فلسطين . ألم يمش يهودي في شرق الاردن بدمه ؟ ألم يخرج موسى بشعب اسرائيل من مصر ؟ أليس لليهود متجبر في العراق ؟ أليس لهم صيرفي في الشام ؟ أليس لهم أفلاك أو قصاب في لبنان ؟ أليس لهم جالية حقيرة في اليمن ؟ أليس لهم بقية في بلاد العرب ؟ فكيف إذن لا يتطلعون الى ما وراء فلسطين .
يا أبناء العرب ذوقوا فتنكم .

يقولون :

إذا هاجمنا العرب الذين لا نسعى الى قتالهم فسنحتمي أنفسنا . وإذا شنوا هجوماً على المستعمرات اليهودية فسنرد عليهم بالحرب .

٤ — المعنى المفهوم من هذه العبارة ، على حد أسلوب الشراح ، ان العرب الدخلاء إذا هاجمونا نحن الاصلاء ، فسوف نشحن فيهم ونقتلهم شر قتل ، أما الهجوم على المستعمرات اليهودية فبناه الحرب . الحرب تملئها دولة الاقاربين على أجداد العرب ، أما القول بأنهم لا يسمون الى قتال العرب ، فسر خدعة عجيبة ، هي أن هنالك عدواً ثالثاً هو الانجليز ، فإذا تخلص الصهيونيون من الانجليز ، فالطبيعي أن يتحولوا الى العرب ليخرجوهم من أرضهم .
يا أبناء العرب ذوقوا فتنكم .

ذوقوا فتنكم . ذوقوا مرارة الانقسام والغفلة والتهـاون . ذوقوا مرارة التواكل والبغضاء والتقاطع . ذوقوا ما تنتج سخائم الأنفـس وحفـيظـات الصدور .

من العرب الآن من يعامل يهوداً ، ومنهم من يمد يده لليهود ، ومنهم من يشارك اليهود ، ومنهم من يشجع اليهود على السيطرة على الصحافة العربية ، قلب هذه البلاد النابض ، ولسانها القائل ، وعينها المبصرة ، ووعيتها الحكي .

نعم . صادقوا اليهود ليخرجوكم من أرضكم ، صادقوهم ليقتلوكم ، حاملوهم ليسرقوكم ، صاحبوهم ليضلوكم ، ثقوا بهم ليفسدوكم ، قدّموا اليهم أيديكم ليلقوا بكم في جهنم .
يا أبناء العرب ذوقوا فتنكم .

ولنعد بعد ذلك الى فرنسا الغاشمة ، عدوة الاسلام وعدوة المسلمين ، فننقل شهادة واحد من أهلها . قال الأستاذ جوستاف لوبون^(١)

(١) حضارة العرب ص ٩٣ الترجمة العربية للاستاذ زعير

« ويجمع أولئك الحضريون والأعراب على مقت الأوربيين القاهرين لهم وحقدهم الشديد عليهم . ويضحى الجزائري ، الذي نصفه بالخليّ المتمرّد المكسّال القانع الوضيع المتزيد ، بماله ونفسه . ويشترك في كل عصيان وتمرد للخلاص من حكم الأجنبي الذي فتح بلاده ، وقد تم إبادة عرب الجزائر بوسائل منظمة كالتي اتخذها الأمريكيون لإبادة أصحاب الجلود الحمر . ولكن الذي اعتقده هو أن الفرنسي لن يستطيع حمل الجزائري على التفرّس ، وإن من المتعذر أن يسود السلام في قطر واحد بين العرب والفرنسيين الذين ينتسبون إلى عرقين مختلفين . وقد سمعت هذا الرأي الذي يجنب تدوينه في الكتب عادة من جميع أولي البصائر في الجزائر ، واني أوافق عليه موافقة تامة » .

تمت أقوال جوستاف لوبون ووقع فيها بامضائه ، كما يقال في محاضر الشرطة . وإذن ففي شمال أفريقية العربي المسلم معركة بين العرب وفرنسا ، معركة تحاول فيها فرنسا القضاء على أهل هذه البلاد بوسائل أمريكية استخدمت في القضاء على أصحاب الجلود الحمر . أما وأن فرنسا لا تستطيع اليوم ، وقد فتح العالم عينيه على مفاسدها الاستعمارية ، أن تمحو العرب من شمال أفريقية ، فهي تعمل على فرنستهم . وأول خطوة يخطوها مستبد أهمي في هذا السبيل هي القضاء على شيئين : اللغة والدين ، وبمعنى أفصح وأظهر : العربية والاسلام .

يأبناء العرب : ذوقوا فتنكم . ذوقوا صرارة الغفلة . ذوقوا علقم ما أمدتكم به الباطنية والتصوّف والزهد وخلع رداء القوة التي هي روح الاسلام ، وارتداء أثواب الضعف والمسكنة والذلة ، التي هي روح الوثنية .

يأبناء العرب : لقد أقمتم لكل معنى من معاني الضعف وثناً عكفتم عليه ، فخطموا اليوم هذه الأوثان ومزّقوا أغلالها وارموا في وجه كل فرنسي بحجر من أحجارها ، وفي وجه كل مستعمر يحاول أن يأكلكم بقذيفة من بقاياها . فإن لم تفعلوا فأنتم المأكولون ، وأنتم المفرسون وأنتم المكّنزون ، وأنتم المؤمرون ، وأنتم الخامسون في الدنيا وفي الآخرة . وإنما أخراكم هي ثمرة دنياكم ، والامر بيديكم ، فإذا أردتم فإن ارادة الله معكم ، وإذا لم تريدوا فقد أتتكم آياته فنسبتموها ، وكذلك اليوم تنسون ويحل عليكم عذاب مقيم .

يأبناء العرب : اذكروا دائماً قوله عبد الحميد طاغية الترك : إن أوروبا تحاربنا حرباً دينية في قالب سيامي .

على أن فرنسا حتى بعد أن فتحت العالم عينيه على مفاسدها الاستعمارية لا تزال تجري على سياسة الفرنسية في شمال أفريقية ، فأخذت تلوح لآخواننا الشماليين باصلاحات فجّة غثة ، لتصرفهم عن طلب الاستقلال وعن نواياها في « الفرنسية » ، وقد علمت من ثقة أن هنالك مشروعاً للتعليم كفيّل بأن يفرنس شمال أفريقية في ربع قرن من الزمان ، يوضع الآن موضع التنفيذ الى جانب محاولات ترمي الى كف العيون عن النية الخبيثة المبيتة لأهل هذه الأقطار العربية الصميمة .

ولقد نقل هنا شيئاً من تلك الدعاية الواسعة التي تشرها فرنسا مظهرهً حديثها الكاذب على أهل تلك البلاد بعد أن أمّعت فيهم قتلاً وخملاً وتجريحاً ، وبعد أن أنزلتهم أحط دركات الجهل والفقر والجوع ، وبعد أن نشرت في بلادهم شعور الخوف ، وأذاقتهم مرارة النقص في الأنفس والأولاد والثمرات (١) .

فقد نقلت الصحف دعاية فرنسية طويلة عريضة عن شمال أفريقية تحت عنوان « سياسة التقرب من المسلمين » ، وهي في الحقيقة الواقعة « سياسة فرنسة المسلمين في شمال أفريقية » ، وهي في مجموعها ضحك على ذقون أهل الاسلام وأهل الشرق ، دعاية ظاهرها التقرب وباطنها الاستعمار، وغرس كل سيئة من سيئات الخلق الفرنسي في نفوس هؤلاء العرب ، واقتلاع كل فضيلة شرقية ورثوها مع الأجيال الطوال . ولقد حدثني نابه من أهل تلك البلاد فقال : ان أصحاب المسؤولية من الفرنسيين ، وهم بالطبيعة أولئك الذين يعملون على فرنسة شمال أفريقية ، يعتقدون أن أكبر عقبة في سبيل سياستهم الاستعمارية هو « القرآن » . فانظر ربك ماذا نكون اذا صحت هذه الرواية ، وهي ولا شك صحيحة ، ان لم تكن صحيحة آتية عن طريق النقل ، فانها صحيحة من طريق الواقع .

(١) أنظر الامرام في ٢٠ من يناير سنة ١٩٤٧ .

جاء في تلك الدعاية أن فرنسا عفت عن متهمين جزائريين ، وأنها عينت وزيراً مفوضاً مسلماً ، وعينت مستشارين مسلمين ورئيساً مسلماً للحكمة الجزائر ، وشرعت تدرس الحضارة الإسلامية في السوربون ، وأخذت تنظم الضمان الاجتماعي وتنظر في مشكلة الأيدي العاملة ، إلى غير ذلك من الآفك الذي يجعل أن يدعيه قاطع طريق لا حكومة متمدينة في القرن العشرين .

تمن فرنسا على أهل شمال أفريقية بذلك كأنما هي تقول لهم « أيها الأفارقة » : أنظروا كيف أنزل عن كبريائى وأتدنى اليكم ، فأعين منكم وزيراً مفوضاً ، ومستشاراً مسلماً ، ورئيساً مسلماً للحكمة !!!

أما إذا كان للخجل حمة ، فإنها ولا شك لم تعرف وجه فرنسا .



إن مشكلة فلسطين ومشكلة شمال أفريقية هما أعضل مسائل الشرق والغرب . على أن ما في تينك المشكلتين من تعقد وجود إنما هو راجع قطعاً إلى أن أوروبا تحاربنا حرباً دينية في قالب سياسي . وإلا فأين الحق الذي ينادي به مؤتمر جوه السياسة الأوروبية والأمريكية ، وأين حق الأمم ، وأين تقرير المصير ، وأين حرية الشعوب الصغيرة ، وأين ضمان حقوقها ؟ أين كل هذا إذا كانت أبسط الحقوق الجليلة الظاهرة تصبح بين أيدي هؤلاء مشكلات أعقد من ذنب الضب .

لقد خرج العالم من الحرب الأخيرة وقد طبقت آفاهه الدمايات صارخة بأن العدل قد محق القوة . ولكن لم يكد السلم ينشر رواقه حتى أنسنا من أصحاب العدل وأصحاب الحرية الذين شذخوا آذاننا طوال سنين بأنهم حفظة العدل والقوامين على الحرية ، إنهم إنما يتبعون موحيات القوة ويتكلمون بلسان القوة ، وما هي ذي جيوشهم يعج بها الشرق وأسلحة فرنسا تروح وتغدو عبر آسيا لتقتل رجال الشعوب الصغيرة في أندونيسيا والهند الصينية ومدغشقر باسم الحضارة التي تعمل على فرنسة كل شبر من أرض تطأه قدم فرنسية إذا كان المبدأ الأساسي في العدل الدولي هو ذلك المبدأ الذي قرره ميثاق الاطلمنطي

إذن يكون لكل دولة من الدول الحق في أن تناضل حرة طليقة في سبيل تقرير أمورها الخاصة من غير أن تتعرض لعدوان دولة أو دول أخرى . وهذا المبدأ إن كان من المبادئ المقررة في القانون الدولي ، إلا أنه قد حاز قوة أكبر بأن أصبح الفكرة الأساسية التي قامت عليها هيئة الأمم المتحدة .

وبربك ما هو العدوان ؟ هو أن تتذرع دولة بالقوة لارغام دولة أخرى على الخضوع لأمر لا تريده ، أو اتخاذ موقف تأباه أو يتعارض مع مصالحها . هو على الجملة تدخل بصورة من الصور في أمور دولة أخرى أو شعب يريد أن يكون ذا دولة تدخلاً تعززه القوة .

نضرب بذلك مثلاً دعوى الصهيونية في فلسطين . فإن من الأشياء المسلمة في العرف الدولي أن طول العهد بامتلاك بقعة من الأرض ، يوثق حق أية أمة في امتلاك البقعة التي تسكنها . وإذا كانت هذه الحجة هي حجة كل قانون دولي أو غير دولي يستند إليها شعب من الشعوب في امتلاك الأرض التي يسكنها ، كان حق العرب في فلسطين واضح لا يحتاج إلى تلك المؤتمرات التي لا ترمي إلا إلى انتزاع فلسطين من العرب بوثيقة يوقع فيها العرب لصالح الصهيونيين ، صنائع بريطانينا .

إذا كان ما يدعي الصهيونيون من حق في فلسطين راجع إلى وثائق تاريخية ، فإن حق العرب يرجع إلى أكثر من ألف سنة ، وحق اليهود يرجع إلى ذكريات كادت تغطي عليها أحداث الزمن . وإذا كان حقهم راجع إلى وعد بلفور ، فإن هذا الوعد أشنع عدوان يذكره تاريخ البشرية جميعاً .

إن واجب كل عربي واضح لا يحتاج إلى بيان . واجب يحفز كل عربي إلى الجهاد بكل ما أوتي من قوة ومال وجه حتى يستقر حق العرب في فلسطين ، ويعترف الغرب أن الشرق يأبى الآن أن يؤكل كما أوكّل في الأيام السوالف .

١- ماعيل مظهر

العائدون

رأيتهم كما كنت أراهم قديماً ، يجلسون منفردين في شمس الشتاء أمام مقهى المعلم شريحة ،
 يترشفون القهوة ويدخنون الطباقي في القصبات الطويلة ويسعلون ويبصقون على الأرض .
 وقد اطمأنت نفوسهم وخفت حدة الكبرياء التي كانت تملؤهم وقلّ التحدي الذي كانت
 ترسله نظراتهم للناس في ازدراء واحتقار . واتجهت أبصارهم إلى تراب الأرض وكانت
 لا ترضي السماء متجهاً لها .. تماماً تماماً ، كما كنت أراهم قديماً . ورأيتهم فيهم ، قد حاد منهم ،
 إلى شمس الشتاء أمام المقهى يترشف القهوة ، وقد سكنت نفسه وخفت حدة الكبرياء
 التي كانت تملؤهم وقلّ التحدي الذي كانت ترسله نظراته للناس في ازدراء واحتقار واتجه
 بصره إلى تراب الأرض . يا للأقدار ! .. إن عجلة الزمن لتدور دورانها السريع القريب ،
 وإني لتقلب الأوضاع ثم .. ثم لا تلبث أن تعيدها .. ثم تقلبها لتعيدها ثانية ! .. لقد
 رأيتهم فيهم وعرفته سريعاً ، وكنت أنوي أن أحبيه ، ولكنه زاغ مني ، أعني من نظراتي ،
 واتجه ببصره إلى .. إلى تراب الأرض .. ولكن ؟ .. أكان اتجاهه للأرض وهروبه من
 مواجهتي بنسبي إياه ؟ .. مطلقاً ، لقد عرفته سريعاً ، ومرّت بخاطري كل أحداث قصته ،
 من بدئها حتى هذه اللحظة التي رأيتهم فيها .. إنها ليست قديمة إلى حدّ النسيان .. إنها
 قريبة لم يتعد عمرها السنة الرابعة .. أجل أربعة أعوام هي كل عمر قصته على التحقيق ،
 فقد كان ميلادها على بصري ومممي وفي رعايتي .. إني أذكر ذلك جيداً جيداً .. أذكر
 هذه الأمسية التي أتى فيها ذلك الفتى إلى منزلي يطلب مقابلتي ليخطب زكية خادمتنا الشابة
 ومعه أمها . ومممت أم زكية وهي تقول لي : يا سيدي لقد جاءني هذا الشاب يخطب زكية ،
 وأنا كما تعرف يا سيدي أرملة جاهلة مسكينة لا طائل لي أو لبنتاتي اليتيمات ، وقد قت أنت
 يا سيدي برعاية زكية حتى نضجت في رعايتك ، وأريد منك اليوم أن تقيم جميلك معها فتتولى

كزكية خدمتنا هذه الحقبة الطويلة من الزمن بنزاهة وإخلاص حتى صارت منا كالأبنة
وصرنا منها كالأهل ، لا يجب أن نتساهل في أمر تزويجها هكذا سريعاً ولأول قادم ، بل
يجب أن نتروى وننتظر حتى يأتيها زوج مناسب معروف لنا أو لأمها من قديم ، ونعرف
أهلها ونمأتها وصيرته ونعرف له عملاً ثابتاً دائماً بدل العمل الموقوت في مصانع موقوتة
كمصانع الجيوش المحاربة . . . وكنت أقول لها ، لزوجتي ، إن مجرد مجيء أي شاب
يشتغل في صناعة معروفة ناجحة بمصانع الجيش البريطاني ومرتبه يزيد عن ستة جنيهات
وإنه يمكن في عطفة ربّي بدرب الملحفة لا يكفي مطلقاً ضماناً لقبوله زوجاً . . . ليخيل
إليّ يا زوجتي العزيزة الطيبة أنه فتي من هؤلاء الفتيان المتعطلين الذين يعمرون المقاهي البلدية
ويسرون في الطرقات يتسكعون في شمس الشتاء الدافئة أو ظل الصيف يتبادلون بنديء
السباب والشتائم ويتجاوبون الضحكات الغليظة النابية ، وأنه إنما يكون رزق هذا العمل
بسبب ذلك الزواج الذي سببه الحرب والذي لا يلبث أن يزول بزوال الحرب وبعدها يعود
الفتى إلى رفقة وإلى تسكعه وإلى مقهاه البلدي وإلى تبادل السباب البذيء مع رفاقه . .

ولكن زوجتي هذه الطيبة القلب ظلت بي تجادلني وتحاورني وتقنعني بأنه مهما يكن
من أمر ، فن سيمزّج هذا الفتى ؟ أليست فتاة كزكية يحملها سيدة بيت وأم أولاد ؟
أفليس هو وهي من بيئة متحدة في الفقر والجوع والشبع بل والطباع والعادات في الأغلب الأعم ؟
وكان آخر ما صنعه ممي زوجتي في شأن هذه الزيجة ، أن دخلت عليّ حجرتي الخاصة
ذات مساء ، وأخذتني من يدي بقوة وقادتني نحو غرفة الخدم ، وكانت زكية بداخلها وحدها
ثم أوقفتني بعيداً بحيث لا ترانا زكية بينما نراها نحن ونسمعها بسهولة ، فإذا سمعت وماذا
رأيت ؟ يا لعجي وبالدهشتي . . . هذه زكية تبكي بحرقة ومرارة وتندب حظها السيء الذي
جعلني أقف حائلاً بينها وبين أمنيتها العزيزة في الحياة والتي هي الزواج من سيد بالذات . .
رأيتها بعيني وممعتها بأذنيّ تنهجب وتردد في ولولة حزينة مؤثرة : يا مصيبي السوداء . .
يا حظي التمس المنكود . . يا ربّي ماذا صنعت من شرّ سيدي حتى يحول بيني وبين راحتي
وسمادتي . أجزاء إخلاصي له ولأولاده كل هذا الزمن يكون تعذيباً وتضييع حظي يا رب . .
يا رب خذني إليك وأنه حياتي بدل هذا التعذيب والعناء . . . وكلاماً آخر كثيراً غير ذلك

ثم يزيد فتلطم وجهها وتشد شعرها .. فعدت متخاذلاً كئيباً وصوت زوجتي الطيبة يرن في أذني : أصمتت أرايت ؟ أفبعد كل هذا لا تزال مصراً على انتقاء زوج آخر لها أصلح من هذا الزوج ؟

وتم الزواج .. أعني زواج زكية من سيد بعينه .. وصرّ عام للزواج وطام .. وتبع العامين عام ثالث ثم - ثم ماذا ؟ أكان زواجاً سعيداً مرفقاً كما أمّلت زكية ، وكما تمّنت أمها ، وكما كانت ترجوه زوجتي ؟ .. الواقع أن الزواج ظلّ سعيداً عدة أسابيع بعد الزفاف أو لعلها بضعة شهور ، ثم أدركه شيء من الملل .. أعني ملل الزوج وضيقه بحياة الاستقرار والأمن والدعة والركون إلى منزل محدود تدبره فتاة طاقلة قلعة مثل زكية ، وراوده ميل وحنين إلى حياته القديمة والسهر مع رفقة القدامى الذين انتزعتهم منهم حياة الزوجية ، والذين أنعمهم رواج الحرب وتيسير العمل المستمر والكسب المتصل وزوال البطالة والتعطّل والكساد .. فعاد إليهم وبقوه فرحين بعودته .. وسرّه أن رآهم ورأى المقهى في نشاط عجيب وانتعاش غريب وممر لذيذ ونور خامر ودفء لطيف .. إنه تغيير هامل للحال القديمة ، فهذه الزحمة وهذه الحركة وهذا السرور ، ثم هؤلاء الرفقاء قد تغيرت جلستهم وتغيرت هياكلهم وتبدلت مشروباتهم التي لم تكن قديماً تنمى تنكة القهوة أو قصبه الطباق الطويلة فاستبدلت تنكة القهوة بأكواب الشاي والسحلب والبندق بل وبالخمر أيضاً ، واختفت قصبه الطباق الطويلة وحلت محلها النارجيلة الأنيقة . وراعت هذه التغيرات وتلك الانقلابات ، واستهوت ، وصادفت من نفسه غراماً وهوى فأقبل على السهر واندمج مع الرفاق وجاراهم في الانفاق والشراب والسهر وتردد معهم على دور السينما .. وهذه السينما هي الأخرى قد جدّت في حياتهم ولم تكن هوية قديمة فيهم وإنما شجعهم على ارتيادها وأغرام بها هذا الرواج الجديد الذي صببه العمل المستمر والكسب المنظم .. وزادوا على السينما ، لونا آخر من ألوان المتاع هو بالضرورة لازم وهام لمن يسهر في المقهى ويشرب الخمر ويرى في دور السينما الرقص الخليع والأجساد الرخيصة العارية ، ويستمتع إلى الألفي الرقيقة ويهاجم المغامرات المبتذلة الدنيئة .. هذا اللون هو النساء وعشق النساء ومواعدهن

وصحبتهن إلى دور السينما والسير معهن في الطرقات والأزقة المظلمة المحيطة بالمقهى . اندمج الزوج تماماً في هذه الحياة وأحبها وكلف بها وصار ينظر إلى البيت ، أعني زوجته وأولاده نظرة ضيق وكره . . وصار مرتبه لا يكفي لحياة هذا البيت ، ولهذا الحياة الساهرة اللاهية المعقدة ، وكثرت النفقات وزادت عن المرتب ، واضطر الزوج إلى الاستدانة والقرض ، والاستدانة لا تتم إلا برهن ، ومن أين له ما يرهنه ليحصل على المال ان لم يكن هذا الذي يرهنه قرط زكية أو خاتمها أو عقدها أو بعضاً من نحاسها أو أثاثها أو حتى ثيابها وثيابه . . وظل على ذلك وما يُرهن لا يُرد . . وليثي الراهن معذور في عدم رد الرهنية فهو يعطيه المال برهنته على عِدّة فتمضي العِدّة وسيد لا يرد المال لأخذ الرهنية وليثي ينتظر وينتظر ثم يتصرف في هذه بالبيع أو نحوه . .

وتغيرت أخلاق الفتى ومعاملاته وأحاديثه تبعاً لكل هذا الذي جدّ في حياته فقسا على زوجته وعلى أولاده وضاق بها وبهم ، فالحديث الحاد المرتفع ، والسباب القاسي ، والضرب الموجه ، كل هذه صارت لازماً مكملة لشخصيته .

وكانت زكية تزورنا كثيراً وتشكو إلينا وتحدثنا بكل هذا وهي تتفطر حزناً وحسرة وكنت أستمع لشكواها وأتألم لها وأعيرها اهتماماً كبيراً . وأنظر إلى زوجتي نظرة تعرف معناها جيداً . إنها نظرة لوم وعتب قاسية . فقد كنت أزجو لزكية زوجاً يكافئها إخلاصاً وحباً وعطفاً واهتماماً بشؤون البيت والامرة ، وكنت بسبيلي لرد هذا الزوج المستهتر لولا . . لولا القضاء المقدور والقدر المسطور ، كما كانت زوجتي تقول .

تلك كانت أعوام هذا الزواج الثلاثة ، وذلك هو وصفها الدقيق الصادق لا تزيد فيه ولا مبالغة ، بل قد يكون الوصف مقتضباً ناقصاً كثيراً جداً عن نفس الصورة الحقيقية . وما أدري ما الذي يشغلي ويهمني جداً ويرغمني ارغماً على متابعة أخبار هذا الزواج وأحداثه ، مع اعتقادي الجازم بأنه واحد من عشرات ألوف الزيجات التي تمت بسبب هذا الزواج وذلك الانتماع للذين أوجدتهما الحرب ، لا أكثر ولا أقل . است أدري ما سبب ذلك الاهتمام مني ، وما أدري ، بالضبط إن كان السبب هو قلقي على مستقبل فتاة كركية خدمتنا باخلاص وأمانة توجبان الوفاء لها ؟ أم هو التماق على مستقبل أطفالها

من جراء
هاتيك الزو
الآلوف من
الآلوف من
والذين سي
ولا يجتمع
سيرة آبائهم
مبعث قلقي
وذات
دامعة العين
غير قصيرة
بعد ان أتى
هذان أمرى
لا تسكاد تقو
ولم يكن
أكلف أحد
واطمأن باله
الوعد ، فقد
الطبيعي وحكم
المعتدل ، ور
لم يكن
وتطبيقها ، هو
زوجتي الطيبة
بعد شهرين
من جديد ؟ و
المستغنى عن
أمثاله المتمرد
أصابه . .

من جراء سلوك هذا الزوج المستهتر الاحق؟ أم هو القلق على مستقبل عشرات الآلاف من هاتيك الزوجات أمثال زكية اللاتي كان رواج الحرب الموقوت سبب تزويجهن من عشرات الآلاف من الأزواج المستهترين الحقى أمثال سيد؟ أم هو القلق على مستقبل مئات الآلاف من أبناء هاتيك الزوجات وأولئك الأزواج، الذين سيكونون جيلاً آخر حديثاً والذين سيصيرون، حتماً كأبائهم عاطلين لا يجدون عملاً يقتاتون منه ولا يهتم بهم أحد ولا مجتمع ولا حكومات. والذين سيظلون في عطلتهم ينتظرون حرباً جديدة ليعيدوا سيرة آبائهم فيتزوجون وينسلون أوف الآلاف .. و..؟؟ ربما كان كل ذلك جميعه هو مبعث قلقي وتفكيري وشغلي وتبعمي لأخبار هذا الزواج وأحداثه وأنبائه ..

و ذات مساء ، بعد مرور هذه الأعوام الثلاثة ، وجدت زكية تدخل على حجرتي دامعة العين حزينة القلب .. وسألتها عن خطبتها فما استطاعت أن تغالب البكاء إلا بعد فترة غير قصيرة . قالت لي : لقد طلقني الليلة ياسيدي . طلقني الآن وطردي بأولاده الثلاثة بعد ان أتى على كل ما أملك وأضاعه ماذا .. ماذا أصنع ياسيدي ؟ لو كنت وحيدة لكان أمري ، لكننا أربعة أنفس نحتاج الطعام والكساء والمأوى الآمن ، وأمي مسكينة لا تكاد تقوى على كفاية نفسها وبناتها ؟ .

ولم يكن الطرف مما يحلوه فيه اللوم ، فعمدت الى مواساتها بكلمات طيبة ، ووعدتها بأن أكلف أحد المحامين بشكوى هذا الزوج الغادر المتمرد وإلزامه بنفقاتها هي وأولادها ، واطمأن بالها بعض الشيء وخرجت من عندي وقد خفت حدة الألم في نفسها . ولم أكذبها الوعد ، فقد كلفت أحد المحامين المعروفين برفع دعوى النفقة وسارت الدعوى في طريقها الطبيعى وحكم لها بنفقة شهرية قيمتها ثلاثمائة قرش . وسررتي وسررها هذا الحكم السريع المعتدل ، ورحنا نقاهب ونعد العدة للتنفيذ وحجز قيمة النفقة من راتبه الشهري . لكن ..

لم يكن تمرّد سيد على زكية ، وإيذاؤها ، والاستيلاء على مناعها وإضاعته ، ثم طردها وتطليقها ، هو كل ما كنت أتوقعه وأخشاه من هذه الزيجة قبل إبرامها ، كما أخبرت به زوجتي الطيبة في حينه .. فقد تمّ ووقع بالفعل أقصى ما كنت أتوقعه .. فقد جاءني زكية بعد شهرين من تاريخ صدور حكم النفقة ، ممتعة الوجه واجفة القلب ! .. ماذا يا زكية ؟ هل من جديد ؟ وأجابت بذلة وحسرة بالغتين : لقد رُفّت .. رُفّت الفاجر وطرده من عمله في المستشفى عنهم جزاء تمرده وإساءته إلي .. لقد استغنوا عنه ووفروه مع عديدين من أمثاله المتمردين . لكنني ياسيدي أرى أن هذا الرف والطرده ليسا عقاباً له أو مصيبة أصابته .. لكنهما مصيبة لي أنا ولأولادي بالذات .. من أين سأأخذ النفقة التي قدرتها

الحكمة؟ من أين لي غذاء هؤلاء الصغار؟ .. وبلغ بي الألم حدًا كبيراً فضغطت أسناني بعضها ببعض ولم أستطع الكلام، ولكن زوجتي اللبقة قالت علي الفور وفي حماسة واندفاع، هذا لا يهم .. معنا حكم ننفذه فإن عجز عن الدفع حبسناه وأدخلناه السجن، وفي السجن مذلة له وانتقام كبير. وابتسمت أنا ابتسامة باهته حزينة لهذه الزوجة الطيبة البلهاء، ثم قلت موجهًا الحديث لصاحبة الأمر: إسمعي يا زكية، لا أمل يا ابنتي في مثل هذا الرجل ولا فائدة وراء الحكم الذي تحتفظين به، ولا في السجن الذي سيذله ويهينه. إذ ماذا ستأخذين أو تفيدين من سجنه وإذلاله؟ اعتمدي يا ابنتي على الله وثقي بقدرة الله ورحمته. قالت: والله يا سيدي ما أملت في خير مطلقاً يصيبني منه وإني لعامة بنهايته هذه من يوم أن حدثتني ونصحتني قبل الزواج فلم أستمع ولم أنتصع .. أذكرهما بما قولك لي إنها فورة الحرب، وكثرة الأعمال التي تسببها الحرب، وما تلبث الحرب أن تزول فيزول بزوالها كل ما سببته من فورة ومن نشاط ومن عمل ويسرّح ألوف هؤلاء العاملين ويعودون إلى حياة التبطل وقد خلفوا وراءهم جيوشاً من الزوجات والأطفال يبحثون عن القوت والكساء. أجل أذكر كل ذلك .. ولكنه عمى القلب وضلال العاطفة أفصياي عن الطريق السوي. لكن الآن يا سيدي! قلت: ماذا؟ قالت: أن أترد ذكره من رأمي وأفكر جدياً في أمري. قلت: فذلك هو الواجب. قالت: أريدك أن تأخذ بيدي. قلت: فأنا لن أنقاس عنك. قالت: يمكنك يا سيدي بحكم مركزك أن تلحقني بإحدى المستشفيات (عمرجية) في مستشفى قصر العيني أو مستشفى الملك أو مستشفى الأطفال. أي مستشفى ..

وأعجبني شجاعة الفتاة، ووجدت من نفمي قدرة على مساعدتها على تيسير عمل لها، ففعلت. والتحققت الفتاة بمستشفى قصر العيني وصارت تسمى لرعاية أولادها الصغار ليكبروا، وليصيروا كأبيهم عمالاً في مصانع الجيوش المحاربة في الحرب المقبلة، ثم في فترة مملهم ورواجهم .. يزوجون وينسلون، ثم يعودون بعد انتهاء الحرب إلى حياة التبطل والتسكع لا يهتم بأمرهم أحد ولا مجتمع ولا حكومة.

ذكرت هذه القصة الأليمة حين رأيتهم، ورأيتهم فيهم، يجلسون في شمس الغناء الدافئة أمام مقهى المعلم شيخه، يترشفون القهوة، ويدخنون الطباقي في القصبة الطويلة ويسلمون ويصقون على الأرض، وقد اطمأنت نفوسهم، وخفت حدة الكبرياء التي كانت تملأهم وقت التحدى الذي كانت ترسله نظراتهم للناس في ازدراء واحتقار، واتجهت أبصارهم إلى تراب الأرض وكانت لا ترضى المماء متجهاً لها .. تماماً .. تماماً كما كنت أراهم قديماً .. قبل الحرب.

محمد طلبة رزق

كان
والغش، وقد
مقعد وهو
ولأمر ما
ولسكنها قال
الظلام دهشة
وهو أغلام
قالت ذلك بل
الصعب تجنيب
من حديث
جناح الفرا
فأين هي ولم
تغير أحوال
فلا يستطيع
لا أعني الآخر
إلى عملي ووا

جريمة أم قصاص

هذه قصة للكاتب القمصاني الشهير جوزيف كوزراد وهو بولوني
الاصل انجليزي الثقافة ويعد من كبار القمصانيين الانجليز . ويريد أن
يظهر في هذه القصة كيف أن سوء الظن اذا استمرى واستفحل قد
يتملك ضمير المرء حتى يحكم بالظن من غير دليل ثم يعاقب بالظن .

كان (س) ربان سفينة حربية وكان طويل القامة وقوراً جداً صريحاً يكره النفاق
والفسخ، وقد انتهز فرصة إجازة قصيرة فزار حبيبته وجعل يدها حبه . وكانت مستلقية على
مقعد وهو راكع بجانبها وقد أصلمت إليه يدها فجعل يقبلها وكأنها منمها التعب من تحريكها .
ولأمر ما اضطربت أحاسيسها واختلطت في صدرها حتى اهتزت من تنفسها أنفاساً عميقة .
ولسكنها قالت بصوت يكاد لا يختلف عن صوتها المألوف — نصّ عليّ قصة — وقد أخفى
الظلام دهشة جليستها وابتهامته إذا ذكرته نفسه إنه حدثها قبل قولها هذا حديث حبه
وهو أغلاماً يحدث به رجل امرأة ولم يحدثها به لأول مرة فقال — قصة ؟ — « نعم لم لا ؟ »
قالت ذلك بلهجة دلال امتعاض المرأة التي ترى أن رغبتهم نافذة كجريمة القانون ومن
الصعب تجنبها أو اغفالها . فردّد قولها لم لا ؟ بلهجة الساخر ، وكان متغاضباً من خروجها
من حديث الحب بسهولة كما تخلع المرأة ثوباً أنيقاً . قالت وكان صوتها يهتز في نبرات اهتزاز
جناح الفراشة في الضوء « إنك قبل هذه الحرب كنت تنص قصصك وأحاديثك الشائقة .
فأين هي ولم تفسد ؟ » قال — ولكن العالم الآن يقامي ويلات الحرب والحرب
تغير أحوال النفوس — قالت قصّ إذا قصة عالم آخر — قال إذا كنت تعنين عالم الآخرة
فلا يستطيع أن يقص عليك قصته إلا من رحل إلى ذلك العالم ثم عاد منه — قالت —
لا أعني الآخرة وإنما أعني عالماً آخر في هذا الوجود — قال سأعود بعد قليل من اجازتي
إلى عملي وواجبي — كأنه بهذا القول يعاتبها لقطع حديث الحب . قالت دعنا من ذكر

الواجب فإنه قد يكون في هذه الأيام أمراً شنيعاً مادامت الحرب قائمة — قال إنك تقولين ذلك إذ تظنين أن الواجب أمرٌ محدود . كلا إن في الواجب ما لا حد له من الغفران ... ألا ترين ذلك ؟ قال هذا القول وهو ينظر إليها بحدة مدققاً النظر — ثم صمت قليلاً وماد فقال سأحدثك بقصة ربان سفينة حربية فهي قصة من قصص عالم البحار وهي قصة حياة وموت — قالت كما في هذا العالم ؟ قال ماذا تتوقعين عند ما يرسل إنسان من طينة هذا الخلق المعبذب كي يبحث ؟ وماذا كان يجد غير ذلك عند ما يبحث ؟ وكيف تستطيعين أن تفهمي ؟ قال ذلك وكان يمالج حرارة الألم . ولكنها قالت — هل هي قصة فكاكة ؟ قال ستكون قصة نفسي وربما كانت قصة فكاكة ولكنها فكاكة قاسية مؤلمة بالرغم من أن مدافع السفينة الحربية لم تطلق بل ظلت صامتة كالمنظار المسكبر . ولا يغيب عنك إنها قصة عالم مضحك في هزله وجده وفي صده وحربه . وكانت الحرب قائمة فوق الأرض وتحتها وعلى البحار وتحت البحار وفي الهواء . فهو عالمٌ غير حكيم . إلا أن بعض الكياسة لم يخل منها جماعة من التجار في الأمم المحايدة . وكان لا بد من مراقبتهم مراقبة دقيقة فأرسلت الحكومة ربان السفينة الحربية لمراقبتهم حين هاج ان بعضهم يأتي بمخزانات طافية ملؤها الوقود السائل في بقاع معينة كي تلتقطها غواصات الأعداء وتتمكن بهذه الوسيلة من البقاء بعيدة عن قواعدها ومن اغراق سفننا الحربية والتجارية بمن فيها من محاربين أو مدنيين من رجال ونساء وأطفال . وبما كان يدهش له ربان السفينة الحربية ان سطح البحر كلما كان يتغير عن حالته في وقت السلم . فكان من الصعب أن يعتقد الرأي أن في قاع البحر كميناً مخبئاً معداً لهلاكه حتى يرى سفينة تصاب أمانه وتغرق قبل أن تعرف ما حدث لها . ثم ينطوي عليها سطح البحر كأن لم يحدث شيء . عندئذ يوقن انه سيهلك يوماً ما كما هلك أهل تلك السفينة وسيغرق كما غرقوا وربما كان ذلك مباغتة وهو آمن . وعندما يوقن بذلك ربما يحسد جنود البر إذ يمسحون العرق والدم من وجوههم عند نهاية المعركة ويرون أشلاء الذين هلكوا ويرون الأرض الممزقة كأنها تتألم وتدمى — نعم إنها وحشية ولكنها وحشية صريحة . أما البحر فإنه يدعي أن الدنيا بخير وهي ليست بخير — إذ أنه يطوي في أمانه آثار الجرائم التي تجترم على سطحه . قالت « آه ... اني أعرف انك موصوم

بالصراحة وصدق السريرة والغضب للحق ... ان الغضب للحق عقيدتك « فنظر إليها بقلق وقال « أليست هي عقيدتك أنت أيضاً ؟ ألسنا شريكين ؟ » ثم عاد الى قصته فقال ان الليل صريح في اخفائه للاشياء في عرض البحار وكأن الليل نفاق صديق قديم قد عرفت نفاقه وألفته واسترحت إليه ، أما الضباب فانه يخفي ولا يريح ويغش وكأنه لا يغش . ففي يوم من أيام الضباب كانت السفينة الحربية تسير قرب شاطئ صخري كثير الاخطار بسبب الصخور التي تغمرها المياه واذا خف الضباب لاح الساحل كأنما رسم بالحبر الأسود على ورق رمادي اللون — قال مساعد الربان الحربي اني أرى شيئاً طافياً على سطح الماء . وعندما اقتربت السفينة منه رأوا أنه برميل أو خزان وربما كان من تلك الخزانات الطافية التي يلتقيها بعض التجار الجشعين المحايدين كي تلتقطها غوامات الاعداء فتأخذ ما بها من الوقود السائل . هكذا هاع الخبر وان لم يقم على صحته دليل إلا اذا كان ما رآه ربان السفينة الحربية ومساعده دليلاً . قال يحدث نفسه ولكن لماذا لم تلتقط السفينة التجارية الخزان بعد تفرغه . فأجابته نفسه قائلة لعل ربانها رأى ضرورة في الاختفاء قبل التمكن من التقاطه . فبدأ الظن يتحول يقيناً في نفسه وشعر باشمزاز من خيانة بعض المحايدين وغدرهم . فقالت حبيبته الذي يحدثها اني أستطيع أن أفهم اشمزازك . قال نعم فان الغش والخيانة لا يجوزان في الحب والحرب لأن الحب والحرب داعيان يدعوان النفس الى المُثُل العليا ، ومن الجائز أن يسفلا عنها بدعوى ضرورة النصر فيهما — قال واستمرت السفينة في مسيرها فازدادت كثافة الضباب وانقطعت الأصوات أو خفت لأن الضباب يحجب الأصوات تتضاءل أو تنقطع ولم يستطع إنسان في السفينة الحربية رؤية إنسان آخر . وكأصوت وقع أقدام الملاحين كأنه وقع أقدام أرواح وأعباح . وكان الربان الحربي قد درس هذا الشاطئ وعرف أن أمامه خليجاً فرأى أن يرسو بسفينته في ذلك الخليج حتى ينجلي الضباب وعندما استقرت السفينة في الخليج كان الضباب كثيفاً حتى أنه منع الاعين من رؤية الشاطئ إلا أن صوت الأمواج وهي تصدم ذلك الشاطئ كان يصل إلى السفينة الحربية كأنه من عالم آخر غريب على قربه منها . وبعد قليل خف الضباب من ناحية مدخل الخليج فهمس مساعدته في أذنه قائلاً اني أرى سفينة قرب مدخل الخليج ، فدقق الربان النظر فرآها وقال من غرائب الحظ أن سفينةتنا لم تصطدم بها أثناء دخولنا . وكان يظنها في بدء الأمر من السفن

التي تتاجر بنقل البضائع من ثغر إلى ثغر على ذلك الساحل، إلا أن شكاً بدأ يتردد في ذهنه وفي ذهن الضابط المساعد الذي قال اننا دخلنا الخليج من غير ضجة ولكن ربانها لابد أن يكون قد أحس بدخولنا ومع ذلك فانه لم يندرننا بوجوده كي فنخذ الحذر لمنع الاصطدام. وكأنه هو ورجاله كانوا صامتين من الخوف، قال الربان الحربي نعم يخيل لي أن الأمر كما تقول وزاد شكه في أمر السفينة التجارية فأرسل اليها ضابطاً ينظر في أمرها ويمنعها من الخروج فذهب الضابط ثم عاد وسأله رئيسه قائلاً هل هي من سفن هذا الساحل؟ قال لا يا سيدي إنها سفينة غريبة ضل صاحبها الطريق بسبب الضباب واختلال آلاتها فلجأت الى هذا الخليج خشية أن تهشم على الصخور في أثناء سيرها. وقد أصلح رجالها آلاتها وهي مهيأة مستعدة للسير، لكن ربانها لا يجرأ على الرحيل إذ أنه يجهل الاتجاه الذي ينبغي أن يتجه إليه في سير السفينة فالتفت رئيسه الى مساعده وقال لقد كنت مصيباً إذ قلت أن رجالها كانوا صامتين من الخوف كي لا نعرف وجودهم. لكن مساعده بدأ يشك في شكه فقال إن الضباب يا سيدي يحجب الأصوات ويطمسها حتى الأصوات التي في سفينتنا نكاد لا نسمعها. ولعل الضباب الذي منعنا من رؤية السفينة التجارية في أثناء دخولنا منع ربانها من رؤية سفينتنا. ثم ما ذا كان مراده من إخفاء وجوده؟ قال رئيسه كي يهرب فلا ننظر في أمره. قال المساعد ولماذا لم يفعل؟ لماذا لم يهرب إنه لو حرك سفينته ربما سمعنا صوتاً خافتاً في الضباب ولكن الضباب كان يحجب السفينة في طرفة عين فلا نعرف أين ذهبت. وعاد الضابط الذي نظر في أمرها لإتمام حديثه. فقال إن أوراقها مستوفدة لا عيب فيها وبضائعها ليست من البضائع المحرمة في الحرب وهي ذاهبة إلى ثغر إنجليزي ولم أجد فيها مدعاة لسوء الظن ورجلها ليس عليهم مظهر ريبة وربانها من أهل شمال أوروبا. والظاهر إنه كان قد احتسى خمرأ وبدأ يفتق من خمارها وقد أخبرته أنني لا آذن له بالرحيل. فقال إنه لا يجرأ على أن يحرك سفينته من مكانها في هذا الضباب سوا ما أذنت له بالرحيل أم لم آذن — ولكن رئيسه لم يستطع قهر شكه وقال أليس من الجائز أن تكون هذه السفينة هي السفينة التي تموت غواصات الأعداء بالوقود السائل في خزانات طافية كالخزان الذي رأيته. قال مساعده إنك لا تستطيع إثبات ذلك يا سيدي، والظاهر من تقرير الضابط الذي نظر في

أمرها إنه لا توجد مدعاة للريبة. قال الرُّبَّانُ الحربي سأذهب اليها وأستطلع أمرها بنفسي. وحب الاستطلاع هو مدعاة الكره أو الحب، فما الذي كان يأمل أن يجد فيها ؟ انه كان يتلصق بالشبهات ويأمل أن يجد فيها ما يسوغ شكه حتى يصير دليلاً. ولعله كان يأمل أن يرى أو يشم أو يذوق دلائل الفساد والخيانة أو ان يوحى اليه فيها إيحاء يحوّل شكه الى يقين فيستطيع أن يعمل عملاً حاسماً وأن يوقع قصاصاً صارماً مادلاً. ذهب الرُّبَّانُ الحربي الى السفينة التجارية فقابله صاحبها. وكان رجلاً ضخم الجسم كثّ اللحية وكان واضعاً يديه في ثيابه كأنما كان يخشى أن يقبض عليهما أحداً، أو هكذا خيّل للقائد الحربي فان الشك إذا صاور النفس اتخذت له من كل أمر دليلاً وإن كان ليس بدليل. وكان صاحب السفينة التجارية يتأيل في مشيته فهل كان تمايله من الخوف إذ أن خيانة المحايدين بتموينه غواصات الأعداء عقابها الموت ؟ أم كان تمايله من بقايا أثر الحر التي ظهرت وانحنتها لمن قاربه ؟. وفتح باب حجرة وأمسك ظهره إلى جدار الحجرة قليلاً كأن به دواراً من الخوف أو هكذا خيّل للقائد الحربي ولكنه ما لبث أن تبعه الى داخل الحجرة وأثار المصباح الكهربائي ثم أمد يديه بسرعة إلى ثيابه كأنما خشي أن يقبض عليهما عدوٌّ وألقى بنفسه على مقعد قائلاً « ها أنا ذا » ولاح عليه كأنما أدهشه صوته أو هكذا خيّل للرُّبَّانُ الحربي الذي كان ينظر إليه كأنما يريد بنظراته أن يصل الى أعماق نفسه فيعرف أمرارها. ثم قال صاحب السفينة أريد أن أقول لك يا سيدي أنني لا أعرف أين أنا فقد لزمنا الضباب أمبوعاً وكُسِرَ جهاز السفينة وكان يتكلم بسرعة كأنما يريد أن يقنع الرُّبَّانُ الحربي بالرغم منه أو هكذا خيّل للرُّبَّانُ الحربي، ومع ذلك فقد كان في حديثه فترات سكوت قصيرة كل فترة هي لضع ثوان. وقد خيّل للرُّبَّانُ الحربي أن تلك الفترات من فترات السكوت كانت من خيبة الزال في قص قصة ملفقة ولو أنه لم يلح على وجه صاحب السفينة شيء من هذا الشعور وخيّل للرُّبَّانُ الحربي أن القصة مرتبة ترتيباً فلما يباغى صدق الحديث: ولكن ربما كان هذا الظن من شكه الذي لم يستطع مغالبته، بل كان في أثناء حديث صاحب السفينة يحدث نفسه حديثاً آخر عن جشع بعض المحايدين وتموينهم غواصات الأعداء فكأنهم هم الذين أغرقوا ضحاياها. حدثت نفسه بهذا الحديث كي لا يقتنع وكي لا يخدعه حديث صاحب السفينة

مايو ٤٧

وكي يشعل نار البغض في قلبه . قال صاحب السفينة إن هذا الضباب يملأ النفس قلقاً فاني لا أكسب إلا الكفاف من رزق أسرتي وأشار الى صورهم المعلقة على الجدار . قال القائد الحربي : ولكن هذه الحرب مستغنيك وتغني أسرتك . قال صاحب السفينة إذالم تهشم السفينة وأخسرها . ولكن لماذا تفضب يا سيدي إذا درت الحرب على التجار أرباحاً . إننا لم نشعل نار الحرب ولو قمنا وامتنعنا عن العمل لاكسب ما انتفع العالم . قال الربان الحربي لقد أوضحت لي كيف صرت الى هذا المكان ووصات الى هذا الساحل ودفتر سجل مير السفينة يؤيد ما تقول . ولكن من المستطاع تليفق هذا السجل . فأطرق صاحب السفينة ثم رفع رأسه بعد قليل ونظر الى الربان الحربي قائلاً ولكن هل تسمي بي الظن ؟ لاي أمر يا سيدي ؟ وبماذا تهمني ؟ ان بضائع سفينتي لغر انجليزي . قال ذلك بصوت خيل للربان الحربي أنه متغير من الخوف كأن به بحجة من القلق ولكن الربان الحربي كان يسائل نفسه لماذا لم ينذرننا بوجوده عندما دخلت سفينتنا الخليج . ولماذا كان جهاز سفينته مهيناً للسير ؟ أليس ذلك دليلاً على أنه هو الذي يموت غواصات الأعداء ؟ ثم خرج الربان الحربي واستعرض الملاحين وسألهم أسئلة فلم يستطع من اجابتهم أن يثبت كذب صاحب السفينة . فقال لا شك إنه وعدم أجر كبيراً ومكافأة خاصة ثم هم لا يحشون منا شيئاً ما داموا لا يبوحدون بشيء . لم يظفر الربان الحربي بأي دليل يثبت سوء ظنه ويسوغ شكه ، ولكنه رأى أنه يحدث نفسه كأن أمر غدر هذا التاجر المحايد وخيائته لقانون الحياد أمر ثابت لا شك فيه . وعاد الى الحجرة فتلقاء صاحب السفينة وعلى وجهه دهشة فنظر اليه الربان الحربي وقال : تخيل لي ان دهشته مصطنعة مبالغ فيها فهي ليست دهشة طبيعية بل هو يتكلف الدهشة كي يقيم الدليل على براءته . ف شعر بالتميز من غدر الناس وتفاقم وقال في نفسه : لا شك ان كل الناس من آكلي اللحوم البشرية . أليس المال الذي يكسبه التاجر من تموين الغواصات ويشترى به قوته وهو من لحم الضحايا الذين تغرقهم تلك الغواصات ؟ فكأنه يأكل من لحم الضحايا . ثم نظر الى التاجر صاحب السفينة التجارية وقال له متحناً ومختبراً ألم تر شيئاً طافياً على وجه الماء ؟ قال التاجر : قلت لك يا سيدي ان الضباب كان يلاننا فلم نستطع أن نرى شيئاً . قال الربان الحربي ولكننا استطعنا ان نرى خزاناً من وقود صائل طافياً على وجه

الماء وكان الضباب
المحايد لغر
ثم تكلف ابته
مجرم . وقال
الضيق .

فقال صاحب
ربما . ربما .

قال الربان
قال صاحب

الذي يأتي بص
في تعاسة ذوق

بسيدي اني ع
فأكتفي بالرزق

الخاطرة لا يت
لا يرى إلا

بالوقود السائل
فأنا رجل لا

القلق وخوف
نظرت الى هذه

قال الربان
قال صاحب

قال الربان
في هذا الضباب

ولكني لا أع

الماء وكان الضباب يخف في بعض الأحيان ، ثم أخبره بما استنتجته من تموين بعض التجار المحايدين لغواصات الأعداء . فوقف صاحب السفينة كأنه قد صعد وألقى صعوبة في التنفس ثم تكلف ابتسامة حائرة مرتبكة لا معنى لها . فأتخذها الربان الحربي دليلاً آخر على أنه مجرم . وقال ان المحايدين الذين يرتكبون هذا الجرم خليقون بعقوبة أهد من عقوبة الشنق .

فقال صاحب السفينة وهو متمجج في قوله نعم . نعم . نعم . ثم فكر قليلاً وقال ربما . ربما .

قال الربان الحربي وهو محقق مغيظ ربما انهم خليقون بعقوبة أهد من الشنق .

قال صاحب السفينة بهدوء نعم ولكن المغري لهم أولى بالعقاب يا سيدي . المغري الذي يأتي بصرة ملؤها الذهب الى رجل فقير لا يجد قوت عياله إلا بشق النفس فيفكر في تماسة ذويه وفي الذهب الذي أمامه وأنا لا أذكر هذا عن نفسي فانك قد لا تدرك يا سيدي اني على ضخامة جسمي ليست لي الأعصاب السليمة القوية التي تدفع بي الى المغامرة فأكتفي بالرزق القليل المكفول اذ لا أستطيع المخاطرة ؟ ولكن الرجل الفقير الذي يستطيع المخاطرة لا يتخيل ما يحل بركاب السفن التي تفرقها الغواصات لأنها مناظر لا يشهدها ، فهو لا يرى إلا الذهب وحقاء أمرته التي يسمى لكسب قوتها فيرضى أن يموت الغواصات بالوقود السائل خلصة ويوم نفسه انه لم يشترك في اغراق أناس . ولا أعني نفسي يا سيدي . فأنا رجل لا قدرة له على المغامرة ولو غامرت مثل هذه المغامرة لأصابني الجنون من القلق وخوف العقاب أو لحاولت إغراق قلتي باحتساء الحمر ليلاً ونهاراً . فن أية ناحية نظرت الى هذه المغامرة أرى الوبال والخراب

قال الربان الحربي وقد اقترب وجهه من وجهه بل الموت لا الخراب وحده !

قال صاحب السفينة هذه مسألة لا تهمني يا سيدي

قال الربان الحربي ومع ذلك فلا بد أن ترحل من هنا الآن — قال صاحب السفينة :

في هذا الضباب ؟ قال نعم . لا بد أن ترحل في هذا الضباب الآن ، قال صاحب السفينة : ولكني لا أعرف أين أنا ولا أدري كيف أقود السفينة في اتجاه ينجيها من الصخور

المغمورة . قال الربان الحربي صاخراً : آه انك لا تدري ؟ إذا سأدلك على الاتجاه الذي تسلكه بسفينتك — ثم ذكر له إتجاهاً باصطلاح السفن في البحار فتردد صاحب السفينة وقال أمن الحتم أن أرحل في هذا الضباب ؟ . قال الربان الحربي نعم من الحتم وإلا ... وإلا فقال صاحب السفينة لاداعي للتهديد يا سيدي سأرحل كما تريد ... ثم رحل بسفينته .

والتفت الربان الحربي الى حبيبته التي كان يحدها حديث القصة واقرب منها قائلاً : أتعرفين إلى أي شيء كان يؤدي ذلك الاتجاه الذي دله عليه الربان الحربي ؟ انه كان يؤدي الى صخور مغمورة لا تنجو منها سفينة ترتطم بها وقد اصطدمت بها السفينة وغرقت وغرق كل من كان بها . وهذا دليل على أن ربانها لم يكن كاذباً في قوله انه يجهل أين هو فانه لو كان يعرف ، ما سار في الاتجاه الذي دله عليه الربان الحربي . نعم لقد كان صادقاً ولكن صدقه لا يدل على براءته — قال الربان الحربي ذلك بقلق وهو يحاول أن يقنع نفسه أن لاداعي للقلق

ثم ترك الربان الحربي دعوى نسبة حادث القصة الى رجل آخر وقال نعم أنا الذي وجهته الى تلك الصخور المغمورة وكنت أظن أن ذلك امتحاناً له واختباراً اختبر به صدق نفسه وبرأته . ولكني الآن لا أدري أكان ذلك اختباراً صحيحاً أم أني دفعته هو ومن معه الى الهلاك بالتهديد . وعندما أفكر في احتمال براءتهم يخيل لي أنني أرى جنهم في قاع البحر تأكل منها الأسماك . نعم لا أدري أكنت قاضياً وقع جزاء عادلاً صارماً ، أم كنت أتيماً ارتكب جرماً كبيراً ؟ .

فدّت حبيبته يدها الى ذراعه وقالت . . . مسكين . . . مسكين بالتماسك أيتها المسكين !

فسحب الربان الحربي ذراعه وقبّل يد حبيبته منصرفاً — وقال لا أدري أكنت قاضياً أم مجرماً ؟ . لا أدري ولن أدري . وسأعيش ما عشت في هذه الحيرة .

— منقولة عن الانجليزية بتمعرف قليل —

ع . ش

د كل

إلى هناك

الشرق

هو كالبحر

الأنجرة ،

سطح الثرى

هديرها ،

والاقتباس

الساطيء ،

الناس إلى

انبتق عن

قواعدهم

الطويل تد

المطلق الصر

أثر في تمث

وعلاقتها

إن الديانات

المعقدة التي

فيما التي ت

الجسد وينف

إن فك

أن أصب

جزء

الوضع الاجتماعي

والعوامل المؤثرة فيه

« كل الأنهار تجري إلى البحر والبحر ليس بملاقن . إلى المكان الذي جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة » .

الشرق ، اليوم ، هو ذلك البحر الذي تصب فيه أنهار الثقافات من جميع أنحاء الدنيا . هو كالبحر في سعته وعمقه ، لكنه الآن ، ليس كالبحر في طبيعته . من البحر تصعد الأنجرة ، فتتقدم غماماً ، فتساقط قطرات تكرر جميعها راجعة إلى البحر ، ما جرى منها على سطح الثرى ، وما تغفل في باطنه . الشرق صابر يرمق هذه المياه المتدفقة ، وينصت بلذة إلى هديرها ، ويستوعب برضى وغبطة ما تأتي به من خير وشر . هو اليوم في دور الاستعطاء والافتباس . ولا بد من أن يأتي يوم يعيد فيه سيرته الأولى . فنبذ البدء ، ومن هذا الحاطئ ، سارت مع الموج أول فكرة عن الله ، وطمع نورها في أرجاء المسكونة ، وأرشدت الناس إلى العماء وإلى المملوكوت . وما فتئت الإنسانية منذ ذلك اليوم تتغذى بالزاد الذي انبثق عن هذا الشرق وتتأثر به في جميع ألوان نشاطها . ويقيني أن طور النبوءات التي ترسو قواعدها على الخيال الجامح والايان المطلق الكفيف قد مضى ، وأن الإنسانية في سيرها الطويل تدنو من العقل المقنع بالخيال ، المضمخ بالايان ، وتبتمد رويداً رويداً عن الخيال المطلق الصرف . وإن هذا البعد سيزداد وذلك الدنو سيتعاضل . وإنها سوف لا تسير إلا في أثر نبي تمثل الحضارات والفلسفات والديانات وسبر أغوار الإنسانية ، واهتم بتنظيم أحوالها وعلاقتها الدنيوية التي تمهد لها السبيل الآخرة ، وأقام الدليل على تفهمه لازدواج الانسان . إن الديانات القديمة قد بالغت في الدعوة إلى الآخرة وأمعنت في اغفال المشكلات الرئيسية المعقدة التي تواجهها البشرية في مراحل وجودها . لسنا بحاجة الى من يشذب غرائز العيش فينا التي تكيفها الاختبارات وتنقيها الآلام ، بل إننا ننتقد في أعماقنا نوراً يتعدى عتبة الجسد وينفذ إلى أقداس الانسان ، إلى الأسلاك الخفية التي تربطه بالالوهية الغاملة .

إن فكرة الإله ، المنبثقة عن الشرق ، قد فرضت أولاً على العالم فرضاً . ثم ما لبثت أن أصبحت هذه العقيدة أقدم ما في الوجود وأخلفه على الاملاق . وقد ظلت عبقرية

الغرب ، طيلة الأجيال التي تصرمت على البشرية ، عاجزة عن ولادة فكرة جامعة إنسانية تضاهي في سموها وقداستها وشمولها الرسلات الروحية التي جاءت على ألسنة أنبياء الشرق . ولأول مرة ، بعد هذا العقم الطويل ، تمخض العقل الغربي عن أول « رسالة » . إنها لا تنتم ما فات من الرسلات الأولى ، بل إنها تنسف وتنقض كل ما جاءت به تلك الرسلات . إن الغاية التي توخاها الأنبياء والرسل ، ودأبوا على تحقيقها ، هي أن يعرفوا الإنسان من الأرض إلى السماء ، من الشر إلى الخير ، من الخطيئة إلى الطهارة ، من مخالف الشيطان إلى حضرة الرحمن . أما « رسالة » كارل ماركس ، في تصويره المادي للتاريخ ، فانها تهبط بالإنسان من السماء إلى الأرض ، وتنزعه من أحضان الألوهية لتلقي به في أتون الطبائع البشرية المطلقة من كل قيد ، وتجعله رهن مشيئة الأساليب الاقتصادية السائدة .

وكما أن الفكرة الدينية قد تعهدتها مؤسسات ، تولت التبشير بها ، حيناً بالقلم واللسان ، وأحياناً باليد ، واعتبرت أمراً واقعاً مقدساً في عرف الجماعة ، وهكذا ، فإن المادية التاريخية تولت التبشير بها أحزاب منظمة تنظيمياً آلياً ، واقتلعت العقيدة الدينية الأصيلة في أصقاع كثيرة وحلت محلها ، وكما أن مبدأ الألوهية قد تجسّد في اليهودية والمسيحية والإسلام ، كذلك المادية التاريخية التي قال بها ماركس قد تركزت في الدول والأحزاب الشيوعية . فنشأ عن ذلك أن الإنسان في هذا العصر أصبح واقعاً على مفترق الطرق ، وهذه الطرق مشتبهة غير متشابهة . وقد ارتطمت المفهومات الدينية التي اقتبسها عن أنبيائه ورسله بمفهومات وتفسيرات مادية جديدة للسكون والحياة والإنسان ، تفرضها بعض الدول على الشعب فرضاً ، وتتحرّى العقائد والنظريات .

وقبل كل شيء تصطدم المادية التاريخية بالمعتقد الديني وتنافي جوهر الدين وما يتفرّع عنه منافاة تامّة . فالعقيدة الدينية تقول : في البدء كانت الكلمة : وأن الشعوب الدينية شامل ، متأصل في أعماق الإنسان ، غريزي ، وما انفك منذ الأزل وهو يعزو الوجود وما فيه إلى قدرة تسمو على الشمول والإحاطة والإدراك الإنساني . ولم يتورّع البعض عن القول إن الإنسان حيوان متدين . أما الشيوعية الماركسية فتؤمّن بالعقيدة القائلة : في البدء كانت المادة . وبينما نرى الكتب المقدسة تقرر أن الله قد خلق الإنسان ، يجعل التصوّر المادي للتاريخ الإنسان خالقاً لله وفكرة الألوهية . ويتوقم الشيوعيون في السياق الطويل لنضوب النزعة الدينية ونموّ الفكرة الإلحادية . ولا تأمل أن يكون هذا النضوب ثمرة للنزاع الطبقي تلقاء المؤسسات الدينية والفكرة الدينية ، أو انتشار الثقافة وتبلورها في الذهن ، بل نتيجة للتحرر من العوز . لأن النزعة الدينية حسب التعليل الذي أوجده المادية التاريخية

للدِّين، ما استقرت في النفوس وتمكنت أصولها في القلوب، والتفت كالأنفاس حول البشرية، إلا في زمن موغل في القدم، كان الإنسان فيه خاضعاً لقوى لا طاقة له على كفاحها ومصارعتها. وفي تلك الحالات التي تخور فيها عزيمة الإنسان من جراء الجوع والجهل، يأخذ يتعمل ويلهو بالدين ويمارس الصلاة ويتخيل آخرة تعوِّض عليه ما فاتته من الحظ في الدنيا، بغية أن ينسى آلامه الحاضرة. فتمكنت الخرافة من استعباده والسيطرة عليه وتسييره وفق هواها، بدلاً من أن ينبذها ويتحرر منها. وينبغي على الدولة، في مثل هذه الحال، وهي أقوى وأكبر مؤسسة سياسية، أن تقود الحملة التحريرية من ربقة الكواييس الوهمية. وقد جاء في المادة ١٢٤ من الدستور السوفياتي الصادر في ٥ ديسمبر ١٩٣٦ ما يأتي:

« والسكي نضمن للمواطنين حرية الضمير، أصبحت الكنيسة في الاتحاد «السوفياتي» والمدرسة منفصلة عن الدولة، والمواطنون حرية ممارسة العقائد الدينية وحرية الدعوة ضد الدين. وبتنا في هذه الأيام نسمع من يقول أن الشيوعية تشبه المسيحية من وجوه كثيرة وإنها لا تناقض مطلقاً الصورة التي أرادها يسوع للمجتمع البشري. ومن يتدبر هذا القول الذي أريد به باطل، بروية ودرس وتمحيص، يدرك أن الجمع بين المذهبين مستحيل. فإن الشيوعية تؤمن أن الإنسان لم يتطور من حال إلى حال إلا بتأثير المادة فقط. فهي التي تنشئ وتربي وتعين وجدانه وخياله واتجاهاته الفكرية. أما المسيحية ككل الرسالات السماوية شقيقاتها، ترسو أصولها على الإيمان بالله والآخرة والدينونة والاعتراف بالملكية والخير والحب. وما من قوة تستطيع أن تؤثر بالإنسان وتحلقه خلقاً جديداً إلا ملكوت السموات، « يشبه ملكوت السموات خيرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة « أكيال دقيق حتى اختتم الجميع. » وان يموج لم يناد بشورة تقاب نظم الاجتماع والاقتصاد والسياسة. إنه حث الفرد أن ينور على نفسه لا على غيره، وان يكافح ما يمكن فيه من مفاصد وشرور، لا أن يخاضع جاره أو أي كان من الناس. ذلك يقيناً منه أن الإصلاح لا يأتي من الخارج بل ينبع من الداخل، من أحماق الشخصية، من ذلك الكهف الذاتي «وأما أنا فأقول لكم أن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه. اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً، أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. أيها القريسي الأعشى نق أولاً داخل الكأس والصحفة السكي يكون خارجهما أيضاً نقياً. » إنه لم يحرض الفقراء على الاغنياء ولم ينغمس بالنزاع الناشئ بين هاتين الطبقتين دائماً وأبداً، لا بملاة أو رهبة منه للطبقة الغنية، ولا استهتاراً أو مقتاً للطبقة الفقيرة، بل لأن هذا النزاع العنيف لا ينبثق عنه صلاح وخير بل فساد وشر.

إنه لم يتورّع عن التنديد الشديد بالاغنياء فيقول : « ويلٌ لكم أيها الأغنياء . ويلٌ لكم أيها الشبايعي لأنكم ستجوعون » ، ويلتفت إلى الفقراء قائلاً « طوباكم أيها الجبايع الآن لأنكم تشبعون . طوباكم أيها المساكين لأن لكم ملكوت الله » . إن التلويح بالآخرة لا بد من أن يحدث صدًى بعيداً في تلك النفوس القائمة المظلمة التي انكشفت على الضلال إذ انكشفت على الفلس ، وضمت جوانحها على الحقد والبغضاء إذ أبت أن تفتتح على المحبة والعطاء ، وغلّت يدها إلى العنف فلم تستمرى اللذة المنبثقة عن البذل والسخاء . ان الحكايات الوديمة التي تفوه بها يسوع ، المصادرة عن نفس مطمئنة مؤمنة لن تنسجم مع تلك الحشجة الشيوعية المصادرة من صدور منعممة بالأحقاد والضغائن والبغض . « ان الشيوعيين يصرحون علانية أن نواياهم لا يمكن أن تتحقق إلا إذا مني النظام الاجتماعي التقليدي بانقلاب عنيف » . وبينما يرى يسوع يقول لأحد الذين معه : « رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون بالسيف بالسيف يهلكون » . نسمع الجماعات الشيوعية تصرخ بلسان جورج صاند : « الكفاح أو الموت . الصراع الدامي أو العدم » . وتنتشر إحدى الجرائد الماركسية الثورية هذا النداء الذي يدعو إلى ثورة لا تبق ولا تذر ، ولا تقع فيه على أثر للرحمة أو الإنسانية . « هيا اذبحوا ! امكن الانتقام فظيماً » هكذا يجب أن تكون لازمة الأناشيد الثورية ، وهكذا سيكون الصوت الذي سوف تطلقه اللجنة التنفيذية بعد انتصار طبقة العمال . « في الأوقات العصيبة يتحتم على كل ثوري مؤمن أن يضع دائماً نصب عينيه هذا المصير : إما أن يتوصل للقضاء على أكبر عدد ممكن من أعدائه ، أو يتأهب للقضاء على نفسه » . وجاء في جريدة أخرى : « ان هذا الجمهور . . . يفهم جيداً أن من مصلحته أن يذبح المالك ويحرق الأكواخ الموبوءة ، ويستولى على القصور الجميلة التي شادها بنفسه ، ويحطم الصناديق الحديدية ، ويقلب كل سلطنة : فيشتق الملك والوزراء والسيوخ والنواب والحامين وضباط البوليس وكل أذناهم . ان هذا الجمهور الحقير سوف لا يصبح أكثرية إلا في يوم الثورة بالذات » . ما هي القوى التي تكيف المجتمعات البشرية وما هي المؤثرات التي تحدد وتعين الوضع الاجتماعي ؟ على هذا السؤال يجيب كارل ماركس ، ومن خلال جوابه تتبدى نظريته القائمة على التفسير المادي للتاريخ : « ان الناس في انتاجهم الاجتماعي خلال وجودهم ، تنشأ بينهم علاقات محدودة ضرورية خارجة عن ارادتهم . وان العلاقات الناجمة عن الانتاج تتناسب مع درجة التطور الذي بلغته قوى الانتاج المادية . وبمجموع هذه العلاقات الناشئة عن الانتاج تكون بنية المجتمع الاقتصادية ، وهي الأساس الذي يقوم عليه بناء حقوق وسياسي ويتصل بأشكال معينة من الوجدانات الاجتماعية . إن أسلوب الانتاج في الحياة المادية يطبع

مظاهر الحياة
الذي يحدد
وجاء
لنفهم ان
وجدانهم ،
التي تثير
منها كل
جنباً إلى
ولكي
فيها النصر
المال وكل
هذه
اهتدى إلى
ويقول لا
يبدو
وان المغالاة
قد عدوا
وتصدق في
تاريخية
تتسير حتم
وحالات
ان
حامة والمؤثر
وكيان الشعب
المؤرخون
جميع نواحي
وما
العلاقات

مظاهر الحياة الاجتماعية والحقوقية والفكرية على وجه العموم . وليس وجدان الناس هو الذي يحدد كياناتهم ، بل على العكس ، فان كياناتهم الاجتماعية هو الذي يحدد وجدانهم .

وجاء في « البيان الشيوعي » على لسان ماركس وإنجلز : « نحتاج إلى ذكاء حاد وعميق لنفهم ان أفكار الناس ولظواهرهم الواقعية ، وكذلك مبادئهم التي تتعلق بالمماريات ، وبكافة وجدانهم ، تنحور جميعها تبعاً لظروف وجودهم وعلاقاتهم الاجتماعية ويتكلمون عن الأفكار التي تنير المجتمع بكامله . وهم في ذلك لا يقررون إلا واقعاً وهو ان العناصر التي يتكوّن منها كل مجتمع جديد ، قد تكونت في المجتمع القديم ، وان انحلال الأفكار القديمة يسير جنباً إلى جنب مع انحلال ظروف المعيشة القديمة » .

ولسكي تتحقق آمال ماركس وإنجلز وتصدق نظريتهما ينبغي أن تنشب ثورة عنيفة يتم فيها النصر للطبقة العاملة التي تأخذ على عاتقها نفس المجتمع البشري التقليدي وازالة رأس المال وكل أساليب الإنتاج القديمة التي اعتمدتها البشرية في الزمن القديم .

هذه هي زبدة النظرية التي قال عنها إنجلز نفسه : « ان ناموس المادية التاريخية الذي اهتدى إليه كارل ماركس ، يضاهي ناموس الجاذبية الذي توصل نيوتن لاكتشف عنه » . ويقول لابرولا : « ان الشيوعية نستطيع أن تتنبأ عن المستقبل » .

يبدو لنا من غوى هذه الأقوال ان الشطط الذي تنطوي عليه يطغى على الصواب ، وان المغالاة تفوق حد الاعتدال وذلك راجع لسببين : أما الأول فهو ان المتشيعين المغالين قد عدوا نظرية المادية التاريخية في عداد النظريات العامة الثابتة التي لا تقبل النقض مطلقاً وتصدق في كل زمان ومكان ، والثاني لأنها تناولت بالتفسير والتعليل حالات اجتماعية تاريخية - نفسية . وفي التاريخ والاجتماع لا يمكننا أن نتجمل نواميس اعتباراً ونقرر أن الجماعات ستسير حتماً بموجبها . فاعتبرنا النظرية القائمة على الظن ، أو التي ثبتت صحتها في أزمنة وأمكنة وحالات معينة ولم تختبر في أزمنة وأمكنة وحالات مختلفة ، قانوناً علمياً لا يزعزع .

ان كتاب « رأس المال » الذي ألفه ماركس نحواً فيه نحواً جديداً وأثار اهتمام المفكرين عامة والمؤرخين خاصة ، إذ أنه أثار مبعداً إلى الدور الذي يلعبه العامل الاقتصادي في حياة الأمم وكيان الشعوب . كان الأساس الذي يرسو عليه علم التاريخ والدراسات الاجتماعية واهياً جداً . كان المؤرخون لا يعنون إلا بالناحية السياسية والعسكرية . وبعد الملك وحده قوة وحيدة فعالة في جميع نواحي حياة الأمة . ولما نزل نورخ المصور الأدبية ونحدها تبعاً للعصور السياسية . وما لا مشاحة فيه أن التطورات التي طرأت على أساليب الإنتاج قد أحدثت تطوراً في العلاقات السائدة بين العامل وصاحب العمل ، وقضت على الجفاء ، واللامبالاة التي التهمت

بها العصور التي تقدمت الثورة الصناعية ، وأثرت في حياة العمال ومستوى معيشتهم ومدّة عملهم ومقتدياتهم من أثاث وأوانٍ وثياب وغذاء . ذلك لأنّ الإنتاج السريع الوفير سبّب أرباحاً هائلة تدفقت على صناديق أرباب العمل وجيوب العمال . وعن ارتفاع الأجور تفقّ الذهن عن رغبات جديدة أو كامنة . وبفضل الامكانيات الماديّة التي أصبح ينعم بها العامل وشيوخ الحرية ، وانتفاء الامتيازات ، وتعدّد نواحي الخير في الحضارة الحديثة ، استطاع أن يلج جميع الأبواب ويتمتع بمنتجات المصنّفات الذات . وبفضل تقنين مدّة العمل أصبح ينعم ببجوبة من الوقت ينفقها في اللهو والعبث ، أو الانصراف للاستزادة من الثقافة ، أو الاستمتاع بالجوّ العائلي . وفي ظلّ النظام الاقتصادي السائد تصدّعت أركان العائلة وطغت الروح الفردية في أعضائها فتبدّد شمل الأسرة . وقد توقع ماركس هذا المصير الكئيب الذي تنتهي إليه العائلة . فيقول : « إنّ الكلام الفارغ عن العائلة والتربية والحنوّ القائم بين الآباء والأبناء يصبح مدعاة للاشمئزاز ما دامت الصناعة العظيمة ماضية في القضاء قضاء مبرماً في صفوف العمال على الروابط العائلية . فيعامل الأولاد وكأنهم صلح تجارية بسيطة وأدوات للعمل . فالأسرة بدلاً من أن تكون ملاذاً لأعضائها يفرعون إليها كلما أحسّت بهم الهموم قد تفرق أبنائها وتشتتوا . وهكذا فقدت العائلة العنصر الهام الذي يبرّر وجودها ويدعو لإجلالها ، وهي الوحدة التي ينمى بها الاجتماع وما يتخلل الاجتماع من تعاطف ومحبة وعناية . وتحوّل البيت الى مجرد مخدع يفد إليه أفراد من مختلف الانحاء وفي أوقات مختلفة ، قد أنهكهم التعب ، وامتنص المجتمع ما في قلوبهم من حبّ وعطف ، وقضى المعمل والشارع على ما في نفوسهم من غفّة وطهارة ، واستنزف الطيش ما في جيوبهم من مال . وبما أن المرأة في المجتمع الماركسي تعدّ عاملاً اقتصادياً أولاً وأماً ثانياً ، فقد انتزع صغارها من حضنها وأرسلوا إلى رياض الأطفال . ولئن قدّر لهم أن يحظوا بالعناية والغذاء فإنهم يظلّون مفتقرين الى العطف والحنان الذين لا ينضجان إلا في صدر الأم . وبدأ العامل يحاكي من هو فوقه مرتبة وغنى ويحارب في معاشه وأطوار حياته . ولا يكي يبلغ الدرجة التي يصبو إليها ، ويتذوّق ألوان الترف والرفاهية ، عمد إلى تحديد النسل وأذن لزوجيه وبنيه بالعمل كي يخففوا العبء عن كاهله . ثمّ أنّ التطوّر الاقتصادي حدا بالحكومات أن تسنّ قوانين تتعلق بالعمل وشؤون العمال فمنحتهم حق تأليف النقابات ، وضمت لهم المساعدة في حالة المرض ، والتعويض في زمن الشيخوخة ، وفرضت شروطاً على أرباب العمل فيما يتعلق بالنساء والأولاد وحالة البناء وساعات العمل ... وأصبح للعمال بفضل تكتلهم وزن يذكّر في الشؤون السياسية عامة .

هذه هي
الإنتاج . أما
التصور :
وبالجملة جميع
جميع الآراء
والعرق والخص
كما مرّ صحابة
وقد ساهمت الد
يعزّون تقدم
في لبايه مبادئ
والدين يتوخى
دينية تتضمن
وأن الإنسان
ونهار . نعم
والأرواح والأ
وهذا الصدد
أو العطش أو
الأمانة على
من علاقة ، و
نبح وجمال ،
والصحة والمر
أسبغ حياتنا
والجاعات ، وال
لصيب عظيم في
إن مبدأ
وتسقط عنه مس
حيلة في صوغ
والإيمان

هذه هي النواحي التي تأثرت ولا تزال تتأثر بالعامل الاقتصادي وتطور أصاليب الإنتاج. أما ماركس فانه يعزو الى العامل الاقتصادي، كما ظهر من أقواله، قوة تفوق حد التصور: فهو الذي يكيف شؤون معيشتنا والسياسة والحقوق والدين والأخلاق، وبالجملة جميع نواحي النشاط الإنساني. إن هذا التفسير المادي للتاريخ ينسف نسفا تاما جميع الآراء والنظريات التي تقول، وثبتت حقيقة، إن الإنسان يتأثر بالدين والأرض والعرق والخصائص الجسدية والنفسانية. وبمعزل عن المؤثر المادي، فانه يمر بهذا السكون كما يمر صحابة صيف. فالدين الذي ينكر أثره ماركس من أعظم المؤثرات في المجتمع البشري. وقد ساهمت الديانات مساهمة عظيمة في جميع التطورات والمراحل التي مرت بها البشرية. وكثيرون يعزون تقدم بعض الشعوب الى رقي الديانة ومبادئها التي يعتنقها أبناءها. ثم أن الدين في لبايه مبادئ أخلاقية تهذب سلوك الإنسان وتصلح نفسه وتطهرها من أدران كثيرة. والدين يتوخى السلام الدائم للإنسان في هذا العالم والحياة في جو من المحبة. وكل رسالة دينية تتضمن نواهي ومواعظ تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتحض على البر والرفاة والوفاء. وأن الإنسان تأثر الى مدى بعيد جداً بالطبيعة وما يتعاقب عليها من فصول ويكر من ليل ونهار. نعم أنه تأثر بالنهار الذي يبعثر الأفراد ويمدّد الشمل، وبالليل « ليل الأشباح والأرواح والأخيلة » كما يقول جبران ليل الظلام والخاوف التي تفرض الاجتماع فلائتلاف. وهذا العبد يقول: ألان: « إن مؤسساتنا وليدة الليل قبل أن تكون وليدة الجوع أو العطش أو الحب ». ومن نظام الحراسة الذي يفرضه الليل يمكننا أن نفهم « لماذا تفضل الأمانة على الشجاعة ». ولن يقوى الإنسان أن ينجو من أثر المرأة وما ينشأ بينه وبينها من علاقة، وما يتخلل هذه العلاقة من حب وبغض، ووصل وهجر، وما تتصف به من نبسج وجمال، وما يؤثر عنها من فضيلة ورذيلة... ويتأثر كذلك بالرجال والأولاد، والصحة والمرض، والحرب والسلام، والكفر والإيمان. من هذه الأمور وغيرها يتكوّن نسبج حياتنا. ولاختلاف التضاريس، وتنوع المناخ، وحدث الغزوات والحروب والحجارات، والحدود المنيعه التي تحدّ من فعاليات الشعوب ومن مدى اختلاطها واحتكاكها، نصيب عظيم في نشوء المدنيات ونموها وتقدمها.

إن مبدأ المادية التاريخية يناق تماماً مبدأ المسؤولية في الإنسان ويؤد حرية الاختيار، ونسقط عنه مسؤولية الخير والشر ولا يحق للمجتمع أن ينافسه الحساب لأن لا قدرة له ولا حيلة في صوغ طباعه وتهذيب مناقبه وعواطفه بل هي رهن مشيئة قوة جامدة آلية. والإيمان بالمادية التاريخية يولد عقيدة الجبرية الاقتصادية التي تحدد مصير الإنسان

تجديداً رياضياً . فما دامت أصاليب الانتاج هي التي تعين وجدان الأفراد والجماعات فينبغي أن تتماثل الجماعات البشرية في أخلاقها وعواطفها ودياناتها وفنونها وآدابها ، إذا تماثلت أصاليب الانتاج فيها وبلغت درجة واحدة من التطور الاقتصادي . وفي الواقع ان التمايز في هذا العصر الصناعي قد عظم وازداد وضوحاً وانتشاراً . ولا تتوفر المماثلة إلا في البيئات المتبدية المنكشة . ومرد ذلك الى أن الجماعات البشرية لا تخضع لدوريات الاقتصادية فقط ، بل أنها تتأثر بجميع التيارات ، من أدبية وعلمية وفنية ونفسية وبدنية ، التي تتفاعل طليقة ضمن تخوم القطر الواحد ، وتتأثر بالتيارات المنبثقة عن مختلف البلدان . وقد أصبح من الميسور في هذا العصر انتشار الحضارات . ويزداد التنوع ويعمق ويعظم بمقدار ما يتمتع الانسان بحرية العمل والقول والفكر والوجود . فالعمال الذين يعملون مجتمعين ساعات معدودات في المصانع ، يتفاعلون فقط ضمن الجو العملي وما يتفرع عنه من اهتمام بمصالحهم وأجورهم . لا ينسلخون عن المجتمع الذي يعيشون بين ظهرانيه ، ولا ينقطعون عن التأثير والتأثير به من شتى النواحي . ان المجتمع زاحز بالمؤسسات الثقافية من علمية وأدبية وفنية ، والمصحافة والمسارح والنوادي والكتب وغيرها من ألوان النشاط الفكري والاجتماعي . وإذا كانت الشيوعية الماركسية مؤمنة بمناعة وصحة التفسير المادي للتاريخ ، وان الانسان لا فكاك له من سلطان أصاليب الانتاج ، ولا يستطيع فرد مهماً أن يكون دولاباً يدور بمنتهى بين دواليب تدور بسرعة ، فعلام نراها تتوصل لاقرار هذا المبدأ بشتى الوسائل والسبل : انها تشجع كل حركة ترمي الى الاضراب والانتفاض والشغب ، وتوجه الصحافة والتأليف والتفكير والوجود توجيهاً صارماً عنيفاً لا رحمة فيه ولا هوادة ، وفق هذه الأهداف . وراها تماكس وتمقت كل اصلاح ، اجتماعياً كان أم اقتصادياً ، ذلك لأن كل محاولة ترمي الى اصلاح الفاسد تؤخر الثورة التي تقلب المجتمع انقلاباً يمتد الى الأعماق . ويقتضي أن الآلة التي ابتكرها الانسان والأصاليب الاقتصادية التي طرأت على الانتاج لم تنفرد وحدها بالتأثير في حياة العمال أنفسهم ، بل أن الفضل العظيم يعود الى زملاء انبثقوا من صميم الشعب يحملون بين جوانحهم قسطاً كبيراً من العطف والرحمة وقسطاً أكبر من الفهم والوعي لشؤون العمال ومشاكلهم . ومن الامتهان لعبقرية الانسان وفكره وخياله ان نهبط به الى مستوى الآلة الجامدة ونقارن بينه وبينها . وان في شخص ماركس نفسه ما ينقض قوله ويدحض زعمه . فعندما وضع تأليفه لم يكن سوى مثالي *idéologue* من طراز كبير . فثله ومثل غيره مثل مشكاة استضاء بها العمال للاهتمام الى الحقوق المهضومة . ولعل حالة العمال لم تكن ما هي عليه الآن لو لم يوجد ماركس .

ذكر
أسأل :
سائرة في
الانتاج
الاستغلال
تمت في
الأخرى
الانسجام
تملك من
٩٩٠٠٠٠
فإننا نبتعد
المساواة
تتناقص فيما
تتناقص
مرضية ، ف
وليس
منشئها إلى
اكتشف
من المعارك
إلا تعبيراً
الناموس أو
وأصاليب
ويستند
٢٥ يناير
والحقوقية
لاحتل آخر
هل الخ
الأمم ؟ ان
جزء

ذكرت قبلاً أن لاريولا يقول « إن الفئوية تستطيع أن تنبأ عن المستقبل » والآن أتساءل : هل تحققت النبوءات التي توقع ماركس حدوثها ؟ لقد تنبأ أن الملكية الصغيرة سائرة في طريق الزوال وستحل محلها الملكية الجماعية . ويرد السبب إلى انتشار وسائل الإنتاج والقوى البشرية التي تتبدد فيما لا طائل تحته والفقر الذي أصاب التربة من جراء الاستغلال المتتالي ، إن هذه النبوءة — ازالة الملكية الفردية — لم تتحقق طبيعياً ، بل تمت في الأقطار التي استعمل فيها العنف والمصادرة بغية تنفيذ هذه النظرية . أما في البلدان الأخرى فقد عمدت الحكومات إلى تحديد الملكية الفردية تأميناً للمصالح العامة ولايجاد الانسجام بين مختلف الطبقات لا القضاء عليها . وفي عام ١٨٥٠ كان عدد الأسر في إنجلترا التي تملك من ١٥٠ — ١٠٠٠ جنيهه ، ٣٠٠٠٠٠٠ عائلة . وفي عام ١٨٨١ بلغ هذا العدد ٩٩٠٠٠٠ أسرة . فدام عدد الذين يملكون يزداد ، وعدد الذين لا يملكون يتضاءل ، فإننا نبتعد شيئاً فشيئاً عن المحجة التي تنبأ عنها ماركس . وفي ذلك يقول كوتسكي : إذا كانت المساواة الكبرى الناتجة عن أسلوب الإنتاج الرأسمالي لاصقة بأوائله فقط ، وينبغي أن تتناقض فيما بعد ، وإذا كان عدد أولئك الذين يملكون يزداد ، وإذا كانت المتناقضات الاجتماعية تتضاءل شيئاً فشيئاً ، وإذا كانت الطبقات العاملة تأمل أن تتحرر أو على الأقل أن تجرزم مكانة مرضية ، فأية فائدة تنجم عن الاشتراكية ؟ أقر بصراحة إنني أعتبر الاشتراكية خطأ فادحاً . وليست الحروب التي ملأ ذكرها بطون التواريخ . إلا نوعاً بين الطبقات التي تمود في منشئها إلى التفاوت في المراحل الاقتصادية . ويقول انجلس : « إن ماركس أول من اكتشف الناموس العظيم الذي يسم الحركة التاريخية . وطبقاً لهذا الناموس ، فإن كل ماحدث من المعارك التاريخية في الحقل السيامي والديني والفلسفي وفي أي حقل آخر مثالي ، ليست إلا تعبيراً صادقاً تقريباً عن المعارك التي تنشب بين الطبقات الاجتماعية . وينجم عن هذا الناموس أن وجود هذه الطبقات ونزاعها يرتبطان بالمرحلة التي بلغتها حالتها الاقتصادية وأصاليب الإنتاج ، وأخيراً بأسلوب المبادلة الذي يتفرع عن الإنتاج . »

ويستخلص من رسالتين كتبتهما انجلس إحداهما في ٢٧ أكتوبر ١٨٩٠ والأخرى في ٢٥ يناير ١٨٩٤ أن الظواهر الاقتصادية هي الباعث الأول على حدوث المظاهر السياسية والحقوقية وحتى التصورات الدينية التي لا تعد إلا ظلالاً اقتصادية . ولو لم يوجد نابوليون لاحتمل آخر مكانه . فإن كل شيء رهن الواقع والضرورة . »

هل الحروب التي جرت في العصور القديمة أم الحديثة كانت حروباً طبقية أم حروباً بين الأمم ؟ إن جميع الحروب التي نشبت في الشرق والغرب لم تكن حرباً بين الطبقات ، بل إنها

في الصميم نزاع بين القوميات التي تقطن أوطاناً معينة وتتكلم لغة واحدة وتنسب إلى أقوام تخضع في كينونتها لدورة حياة واحدة . وإن العامل لما يحقق حلم ماركس الجميل : « العمال لا وطن لهم » لجميع الأحداث ، وأقواها الحرب الأخيرة برهنت أن العامل مواطن قبل وبعد كل شيء وإليه ينظر إلى الأمور ويزنها من خلال مصلحة أمته . وما من ثورة أو حرب أو عصيان إلا ساهمت فيها جميع الطبقات وكانت نتيجة لعوامل اقتصادية وسياسية واجتماعية وعرقية وغير ذلك من الأسباب الخفية . من ذا الذي قام بأعباء الثورة الفرنسية ؟ يقول سان سيمون : « ان الثورة الفرنسية كانت من صنع العلماء والفنانين الذين آذتهم النظم الاقتصادية في الصميم ، فقدفوا بالمعدمين الجبهة ضد المالكين المحافظين » . وليست أساليب الانتاج التي حدث بالشعب إلى الثورة ، بل كتابات ثوثير التي ما انفكت تحض على التحرر الذهني حتى تقال الحرية ، وكتابات روسو التي كانت تدعو إلى الفوضى الاجتماعية إلى أن تحصل المساواة والعدل . ولم يقم العبيد وحدهم في الثورة التي نهبت في روما ، بل كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الأغنياء الذين كانت تحدد بهم الرغبة إلى تسلم زمام الشؤون السياسية التي لا تتطلع إليها الطبقة الفقيرة المعذمة . فتضافرت مطاعم الطبقة الفقيرة التي تتوخى العدل الاجتماعي ومطامع الطبقة الغنية التي تنشأ المنصب والجاه . وإن الحروب الصليبية لم يكن سببها الباعث الاقتصادي ولم يكن رائدها الاقتصاد ولم يدع فيها ظل للطبقات والفوارق العنصرية واللغوية والاقليمية ، بل إنها صهرت قوميات حتى كانت متباعدة متباغضة . وتعود في أبعد أسبابها إلى نعرات دينية تمثلت في الفريقيين المتحارين . وإن الذي دفع إليها ونمى الحركة وجعلها تشمل معظم شعوب أوروبا البابا ذاته . ولا يتطرق الشك إلى مدى السلطة التي كان يتمتع بها يومئذ . فقد جمع في قبضته السلطتين الزمنية والروحية . ولم يكن يسمى لتيسير سبل التجارة ، بل كان يسعى لا تنزع القبر المقدس من قبضة الدولة المسماة المسيطرة . وقد ترتب على هذه الحرب الدينية نتائج اقتصادية خطيرة : فتوسعت العلاقات بين الشرق والغرب ولاحت للفريقيين امكانيات تجارية لم تكن في الحسبان فإن القبر المقدس أصبح يجذب سنوياً ألوفاً من نصارى الغرب الذين يؤمون الديار المقدسة . وقد نشأ عن تدفق الحجاج الى سوريا شركات للملاحة في البندقية ومرسيليا . ولست أعزو الغرض المعقول إذا قلت أن اكتشاف أميركا فكرة نبئت من صميم العلاقات التي تلت تلك الحروب . إذ من المعلوم أن مدن الشرق : القسطنطينية وحلب ودمشق وبغداد ، كانت أسواقاً لحاصلات الشرق الرئيسية . وإن أبان غزوتهم سوريا قد تعرفوا الى هذه المراكز . وتذوقوا الأناويه وشاهدوا العاج والأقشة الحريرية والسجاد . وعلام كان يبحث كولمبوس ؟ ألم

تكن الهند ، منبع الغرائب ، هدفه ؟ وإن البرم الذي أصاب التجار من طول الطريق الشرقية وأثرها في ارتفاع الأسعار حملت أولى الشأن على التفكير جدياً في الاتصال مباشرة بالهند . وعلى أثر الحروب الصليبية تغيرت معظم خطوط الملاحة وطرق التجارة البرية . ولا يتسع المجال لذكر الفوائد الزراعية والصناعية والعلمية التي حصل اقتباسها من قبل الطرفين لدن احتكاكهما .

وتستولي علينا الحيرة إذا ما رمنا تعليلاً صحيحاً لاختراع المطبعة . هل هي التطورات الاقتصادية أم الثقافية التي وجهت ذهن جوتنبرج ودفعته للبحث والتفكير بطريقة تريح الناس من عناء النسخ ؟ لا نجد لذلك تعليلاً معقولاً إلا في التقدم الثقافي وتفتح الأذهان وما ينشأ عن ذلك من رغبة ملحة للمطالعة والبحث والتنقيب واقتناء الكتب . وعلى أثر اختراع المطبعة ، وطبع الكتاب المقدس ونشره بين الناس بلغة سهلة سلسة ، بعد أن كان وقفاً على الكهنة ولا يتجاوز نطاق الصوامع والأديرة ، حصلت حركة الإصلاح الديني التي نادى بها لوثيوس . زد إلى ذلك السكراكية التي كانت تضمرها الشعوب الشمالية للشعب الإيطالي الذي يتحكم في شؤون الكنيسة . وقد أزعج لوثيوس هذا الاستياء بعد عودته من روما إذ قال : « إن الجرائم في روما لا توصف . فمن الألمان شريرون . أمّا الطليان فانهم كفرة ويهزؤون بالدين الحقيقي . إنهم يسخرون منا نحن المسيحيين ، لأننا نؤمن بكل ما جاء في الكتاب . . . ويخشون القديس أنطونيوس أكثر مما يرهبون المسيح . . . » وكانت النهضة الأدبية في القرن السادس عشر نتيجة لازمة لبعث الثقافتين الإغريقية واللاتينية ونشر المؤلفات القديمة . إن المطبعة أحدثت حركة للنهضة في القرن السادس عشر ، أما في القرن التاسع عشر فانها نشرت المجلة والجريدة . ولا يمكننا بحال من الأحوال أن نحدد الأثر العظيم والدور الكبير الذي لعبته الصحافة في العصر الحديث . إنها أكبر أداة للتوجيه والاذاعة في هذا الجيل . وإن ماركس نفسه مدين للصحافة التي حملت على تبسيط ونشر نظرياته ومبادئه في صفوف الشعب . ولا يعد تحقيق الماركسية الشيوعية في روسيا انتصاراً لمبدأ المادية التاريخية بل تكذيباً قاطعاً وتأليفاً صارماً لضعف النظرية وفشل النبوءة . ذلك لأن الثورة الشيوعية نشبت في البلاد التي لم تترعرع فيها الرأسمالية وتظهر مفاصلها ومساوئها ، وإن أساليب إنتاجها كانت متأخرة إذ ما قورنت بالدول الغربية ، لكن استتباب الأمر للشيوعية عام ١٩١٧ يعود إلى ضعف الجهاز الحكومي القيصري الذي انهار عند أول صدمة ، وبانياره آلت البلاد إلى يد حازمة حديدية هي الحزب الشيوعي . وقد تكون روسيا مدينة في ثورتها الاجتماعية - الاقتصادية - السياسية لا إلى ماركس وتلاميذه فحسب ، بل إلى الشباب الذين حاصروا مراحل الثورة الفرنسية ، وشهدوا يقظة الروح القومية في البلاد التي غزاها نابليون ، ورأوا

عن كسب الفرق الهائل بين مستوى حالة الفلاح الفرنسي والفلاح الرومي . ويقول « بليكافوف » في كتابه القيم « المدخل الى تاريخ روسيا الاجتماعي » الذي ألفه وهو متغيب بمبدأ التصور المادي للتاريخ ، ان الانتصار الذي أحرزته القبائل المتبدية على روسيا في اقطاع كييف ، اضطر الجماعات الروسية أن تنسحب صوب الشمال والشمال الغربي من روسيا ، مما أدى إلى تأخر ظهور المدنية الروسية وسبب انحطاط الطبقات القروية . ويذكر أيضاً ان للوسط الجغرافي الروسي اثرأ بارزاً في التاريخ السيامي من جميع الوجوه .

ولا يمكننا ان نسلم بصحة قول أنجلوس : « إن كل شيء رهن الواقع والضرورة » . فالظروف تكون الجو الملائم لظهور الشخصيات ، لكنها لا تخلق الأشخاص وما ينطوون عليه من خلق وفكر وخيال . ولو كان الامر للظروف التي يسري تأثيرها على الجماعات بمعدل واحد لجلستهم نسقاً ، وعلى درجة واحدة من الوعي والفهم ، فلو لم يظهر محمد في الحجاز يومئذ لما ظهر غيره . والبرهان على ذلك أن تلك البلاد عجزت عن انجاب شخصية كمحمد قبل أن يولد وقبل أن يبلغ سنّاً معلومة رغم أن ظروف المعيشة وملابس الحياة وأحوال الجزيرة لم تصب بتغيير أو تبديل . وما من عظيم كان وليد ضرورة ساعة ظهوره ، أو استجابة لنداء الجماعات المتضجرة . ولو كان وليد الضرورة القاهرة لما حورب مصلح ولا نبي ولا اضطر هو أن يحارب الجماعات التي ظهر في وسطها أو يكافحها تارة باليد وطوراً باللسان . فيسوع صلب ، ومحمد هاجر وحارب بغية اقرار فكرة التوحيد في القلوب . وان يسوع يعبر عن الحقيقة التي اكتشفت رسالته إذ يقول : « ما جئت لاتي سلاماً بل سيفاً . فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والسكنة ضد حماتها » . ولو كان المجتمع العربي يشعر آنئذ بتعطش حقيقي إلى رسالة سماوية لما عامل محمداً معاملة تجلب فيها الغلظة والقسوة والكفر . وكيف نستطيع أن نعلل تغفل الرسائل السماوية رغم منافاتها للمبادئ السائدة والعقائد المستقرة ورغم العراقيل التي تعترضها ، والشر الذي يلاهم المبشرون بها .

جميل أن نجتمع في العقيدة بين الولاء للأرض والتطلع الى السماء ، ونصل في الحياة بين القلب والبطن ، ونوفق بين رغبات الروح ومتطلبات الجسد . وایس بجميل أن تحول الأرض بيدنا وبين السماء وتطغي المادة على الروح . انني أو من بالانسان وما فيه من قوى فاعلة في سبيل الخير والجمال والحق ، وأؤمن ان الحياة سوف لا تنفك تغربله في غربال اللذة والألم كي تدنيه شيئاً فشيئاً من المحجة الفسوى التي تجعل في المحبة الشاملة . وركب الانسانية ما انفك سائرأ صوب هذا الهدف رغم وعورة الطريق وطولها وكثرة الأهواك وخور العزائم .

المرأة في البرلمان

لم تذهب صيحات الاتحاد النسوي عبثاً . ولا انطلقت صرخات الميديات أدراج الرياح بل قرعت آذان كثيرين من ذوي العوارب، واستجابت لها نبضات قلوب الطبقات الراقية . وجاوبتها نغمات عواطفهم ونبرات رشادهم . وكان من هذه النبضات ان صحت عزيمة الأستاذين الكبيرين سمادة علوبة باشا وسمادة علي زكي العرابي باشا ان يتقدما إلى البرلمان كل منهما على حدة بمشروع قانون يخول المرأة المصرية حتى الانتخاب . وقد كان لي الحظ أن اطلع على قسط من مشروع علوبة باشا فرأيتُه مُدعماً بالمنطق القاهر والحجج الدامغة فضلاً عن السندات القرآنية الناصعة الحق .

ولا ندري الآن ماذا يلاقي هذا المشروع من مناقشات أعضاء البرلمان ، وبكم يهاجم من الحجج الواهية والبراهين المتصدعة . ولكننا نعلم منذ الآن إنه سيلقي من خشونة الجنس واعتصاب النفوس المتعصبة وقذائف التقاليد المتحجرة ما يستحيل عنه إلى تقيضه من أكثرية المجلس . وقد تكون أكثرية ساحقة . وهما كانت قليلة أو كثيرة فالأرجح ان المشروع يحبط في المرة الأولى ويصنف لحبوطه الأنانيون المستبدون المستبدون الاستعباد . على أن حبوطه لا يكون هلاكاً إلى الأبد . بل لا بد أن يبقى فيه رفق ، أو أنه يولد ثانية عن يد ذئب الفاضلين الذين في مقدمة من يدفعون بالجمعية المصري إلى الامام في صلب رقيه ويشترك معها آخرون ممن يتفوقون معها في هذه النزعة الاجتماعية المباركة .

على أننا نعرف منذ الآن ماذا تكون حجج المعارضين والمقاومين والمناكذين الذين من خليقتهم صحيحة الاستبداد ، والختمين بعقيدة أن المرأة مهما ارتقت فيحكم خلية لها يحجب أن تكون أمة أو شبه أمة ، على الرغم من منح الكتب المقدسة لها حقوقاً اجتماعية واقتصادية كحقوق الرجل .

أول حجة عند خصوم المشروع أن المرأة خلية بطبيعتها ثانوية للرجل ، ولها وظيفة

في الأسرة، تختلف عن وظيفة الرجل كل الاختلاف بل هي دونها قيمة وعشاًوآ . وبالتالي يمتد هذا الاختلاف إلى جميع الأحوال الاجتماعية .

يقولون إن وظيفة الرجل خارج المنزل مختصة بالسمي إلى الرزق للقيام بمعيشة الأسرة . وإن وظيفة المرأة حضانة الأولاد وتربيتهم والقيام بجميع الواجبات المنزلية .

حسن . ولكن هل وظيفة المرأة هذه دون وظيفة الرجل قيمة ؟ وهل تقتضي مجهوداً أقل مما تقتضيه وظيفة الرجل ؟ لا لعمرى . إن وظيفة أم جدأ وأغلى قيمةً ومهملاً أثق جدأ من عمله . فلكي تقدم المرأة للمجتمع رجلاً وطنياً نشيطاً ونافعاً ومخلصاً لوطنه يجب أن تحمله جنيناً في أحشائها تسعة أشهر أولاً . ثم ترضعه إلى صدرها وفي حجرها شهوراً أخرى ، ثم ترعاه بضع سنين إلى أن تقدمه إلى المدرسة فالكلية . ولا تنتهي مهمتها بشأنه حتى بعد أن يصير يافعاً ، بل بعد هذه السن تبقى مشغولة به عاطفة عليه مهمة بحياته إلى أن يستقل . أضف إلى مهمة تربيته سائر الواجبات المنزلية المعروفة . هذه وظيفة المرأة إذا كان عندها ولد واحد ، فما بالك إذا كان عندها بضعة أولاد ؟ لا أظن أباً من الآباء من يجمل أو يتجاهل أن عمله الذي يستعظمه تجاه حمل المرأة إنما هو عمل يومي يجري على وتيرة واحدة منذ يضع نظامه إلى أن يتقاعد عنه . فتجري الرجل في سياق العمل أصبح النظام يعمل من تلقاء نفسه من غير أن يعنت هو فيه نفسه كثير الاعنات . لذلك يجد الرجل عنده متسعاً من الوقت للتسكع في طريق الحياة والاختلاف إلى المقاهي والملاهي والمعشر الفسك وأحياناً إلى المعشر الفاسد .

فاذا كانت تلك وظيفة المرأة التي هي مهمة إعداد رجال المستقبل وبنیان المجتمع المتين أفلا يجب أن يكون لها ضلع في إدارة هذا المجتمع ولو من قبيل الرأي أو اختيار ذوي الرأي والإدارة ؟

وأقوى حجة يحتج بها خصوم المشروع هي أن السواد الأعظم من النساء عندنا لا يزلن أمميات جاهلات ، فلا يصلحن للتشثيل في البرلمان ولا للانتخاب . يمكن إعطاؤهن هذا الحق متى تعلمن ولو بعض العلم أو تعلمن القراءة والكتابة على الأقل ، إذ تصبح معلوماتهن بمؤون الحياة أوسع نطاقاً منها الآن ولا سيما إذا صرن يطالمن الجرائد والمطبوعات الأولية كأخواتهن الأوروبيات والأميركيات .

حسن . هذا صواب . فإذن يجب أن نعلمي برلماننا بثباتاً ونعود إلى الحكم

المطلق لأن ال
شيئاً من مشا
لحرمان الفرد
هذا الحق على
المنتخبين لا
بعض النقافة
نرى تجاهه ف
والأمية سو
وأما أن
حتى المثقفة ،
تقيع السيدة
بيدها يوم الا
أن يذهب خاد
وإذا كان
السيدة المتعمدة
والأف هذا الاج
أفزع مما
امضائهم التي ما
نفسه للنياحة .

أما حرمان
مقيدة بواجباته
وتحضر الجلسات
نيابة المرأة فو
الحق بمنعه ؟
والعادة أن
منسح من الوقت
الناس من أمهات

المطلق لأن السواد الأعظم من الرجال كالسواد الأعظم من النساء أميون جهلة لا يفهمون شيئاً من مشاكل الحياة الاجتماعية ، ومن السياسة الوطنية . وإذا كانت الأمية حتمياً لحرم الفرد من حق الانتخاب ، فالانصاف يقضي أن يحرم جميع الأميين رجالاً ونساءً من هذا الحق على السواء ، وأن يقتصر على المتعلمين فقط من الفريقين . وحينئذ يرى أن عدد المنتخبين لا يفوق على عدد المنتخبات (بكسر الخاءين وفتحهما) لأنه ما من أب منقف ولو بعض الثقافة في هذا الأوان يحرم بناته حق التعلم الى حد ما . ولا يرى فتى متعلماً إلا يرى تجاهه فتاة متعلمة . ولا مزية لرجال على النساء في المعرفة . كلا الفريقين في الثقافة والأمية سواء .

وأما أن نمنح حق الانتخاب لكل ذكر بالغ ونمنح هذا الحق عن كل أنثى على الإطلاق حتى المثقفة ، فهو من أغرب سخريات الزمان وأضحك المضحكات . أليس مستهجناً أن تبيع السيدة الجليلة هدى هانم شعراوي رئيسة الاتحاد النسوي في العالم العربي في بيدها يوم الانتخاب وان يذهب بواب دارها الى دار الانتخاب لكي يعطي صوته ؟ أو أن يذهب خادم السيدة أمينة السعيد لكي يعطي صوته وهي تحرم هذا الحق . وإذا كان لا بد من عدم الانصاف هذا بين الفريقين فيجب على الأقل أن تعطى السيدة المتعلمة حق الانتخاب أسوة بالأمي الجاهل وتحرم منه المرأة الأمية ريثما تتعلم . والأفهد الاجتفاف سبة في دستور البلاد .

أفزع مما تقدم أن يكون بين نواب الأمة أميون لا يحسنون كتابة كلمة غير كتابة امضائهم التي مارسوها لهذا الغرض على الرغم من أن الدستور يحرم على الأمي أن يرفع نفسه للنياية .

أما حرمان المرأة المثقفة من حق النياية في البرلمان فيبرره خصوم المشروع بأن المرأة مقيدة بواجباتها المنزلية ، فلا يجوز أن تترك هذه الواجبات لكي تخوض غمار السياسة وتحضر الجلسات وتناقش ، وأخيراً توافق أو لا توافق . وإذا كانت الواجبات المنزلية تمنع نياية المرأة فواجبات الرجل المعاشية تمنعها أيضاً . على كلا الفريقين واجبات فما يمنعها هذا الحق بمنعها ؟

والعادة أن يكون النواب من الأشخاص الموسرين القليلي الواجبات الشخصية ولهم متسع من الوقت لحضور الجلسات البرلمانية . والجاس لا ينعقد إلا مساءً بعد انصراف الناس من أعمالهم . والسيدة التي يساعدها زوجها في إدارة المنزل لها أيضاً متسع من الوقت

في ذلك المساء كما أن لها وقتاً لزيارات والملاهي . وبالطبع لا ترشح نفسها إلا المرأة الموسرة التي عندها خدم وبرهات كثيرة من الوقت لحضور الجلسات فضلاً عن المطالعة وتدوين المذكرات ونحو ذلك .

وحاصل القول أننا لا نرى أن الشغال المرأة في واجباتها النيابية في البرلمان يحول دون قيامها بواجباتها المنزلية ، كما أن الشغال الرجل في البرلمان لا يعرقل أعماله . فهذا الاعتراض واهٍ سخيف كغيره من الاعتراضات المتقدمة .

وقد انتخبت السيدات في برلمانات أوروبا وأميركا وكانت لهن آراء صائبة ونفوذاً فما قصرن في واجباتهن المنزلية بسبب إشتغالهن في مجالسهن النيابية .

ولجانِب من الرجال عقيدة فاسدة يستنكرون بها إشتغال المرأة في السهامة ويستهمجنون وجودها في المجالس النيابية ونحوها ، وهي أن المرأة أضعف عقلاً من الرجل إلى غير هذا من زاعم انحطاط عقلية النساء . وهي عقيدة سخيفة لا يحجل مغرورو الرجال وأغبيائهم أن يجاهرُوا بها وإلى جانبهم زوجات رافيات لانتقاداتهم ومحرصون على كرامتهم .

يجعلون هذه الحجة في مقدمة الحجج عند نقاشهم في هذا الموضوع على الرغم من أن وقائع الحال تخرس أفواههم إذا كانوا يعقلون . فقد نزلت المرأة في جميع البلاد المتقدمة إلى مضمار العمل ونافست الرجل فيه كما نافسته في ميدان تحصيل العلم ، حتى عندنا نافست الطالبات في جميع الكليات الطلبة ، وفي كثير من الامتحانات تفوقن عليهم . فها ظهر في هذا الجنس اللطيف قصور عقلي بئساً . والتحقيقات الفسيولوجية والدماعية خاصة برهنت على أن المرأة والرجل متساويان في القوى العقلية . وليس لفريق مزية أو فخر على الفريق الآخر . ونرى في ميدان الأدب الآن أقلام كاتبات في كثير من المجالات تبرز أحياناً أقلام الكتّاب المنعوتين بالتقديرين .

ولعل بعض الأنانيين من الرجال يقولون إننا إذا منحنا هذا الحق للسيدات فلا نعود نستطيع أن « نكيفهن » . وهذا قول سخيف لا يصدق إلا على بعض النساء المتدللات المغرورات ، وهؤلاء لا يمكن أن يرتقين إلى منصة النيابة البرلمانية . ولا تستطيعون أيها الأنانيون أن « تكيفوا » هؤلاء « المتدللات » سواء أكن في مجلس النواب أو في مجالس الأصحاب . فهن نائبات لكم على كل حال رضيتم أم لم ترضوا .

نقول الحاراد

يُجود ع
أسبابها ويش
E. Crouchley
أعوام كتاباً
ثلاث مئة صف
وقد رأ
حسباً ترتئيه
ما كتب عن

التاريخ
هو ابن الأعرابي
فقد يفتقر الق
وهي المسائل
بحسبنا هذه المس
وأول ما

مليوناً (المتر
في الزيادة بسر
في الوقت الحاضر
البلاد ، وما ي
غير أننا
مليونين ، وإن

أمس واليوم

حالة مصر الزراعية

يجود علينا الغرب أحياناً رجال يخلصون للشرق ويقدمون مشكلاته ويتقصّون أسبابها ويشيرون بما يرونه من علاج . ومن أولئك المستشرقين الإنجليزي اسمه الأستاذ كراوتسلي A. E. Crouchley كان يعمل أستاذاً في كلية التجارة بجامعة فؤاد الأول ووضع من أسعته أعوام كتاباً نفيساً باللغة الانجليزية عن « التقدم الاقتصادي لمصر الحديثة »^(١) في نحو ثلاث مئة صفحة .

وقد رأينا أن ننقل بضعة فصول من هذا الكتاب ونعلّق على ما أورده المؤلف حسبما ترتّبه ، ونضيف إليه ما عرض لنا في بحوث حديثة العهد ، لأن هذا المبحث من خير ما كتب عن اقتصاد مصر الحديثة .

التاريخ موصول الحلقات ، مسلسل الوقائع والأحداث ، لا يقف ولا يبطئ . اليوم هو ابن الأمس وهو أبو الغد . ورغم أن مهمة المؤرخ — إذا تحرّينا الدقة — تتعلق بالماضي فقد يغتفر القارئ لنا إذا نحن استشفقنا من أحداث الماضي الخطوط الرئيسة للمستقبل ، وهي المسائل التي ستعرض لنا لا محالة في القريب الداني أو البعيد النائي . ولعله يعذرنا إذا بحثنا هذه المسائل على ضوء تقدم مصر الاقتصادي الحديث .

وأول ما يواجهنا ، مشكلة السكان . فقد نما عدد السكان من مليونين إلى نحو ستة عشر مليوناً (المترجم — يبلغ تعداد مصر الآن نحو ١٩ مليوناً) في قرن وثلاث قرن ، وهم آخذون في الزيادة بسرعة فائقة . وكثيراً ما يعربون عن الخوف من اكتظاظ البلاد بالسكان ، سواء في الوقت الحالي أو في الغد القريب مما قد يفضي إلى زيادة ضغط السكان على الموارد الحالية للبلاد ، وما يتبع ذلك من خفض مستوى المعيشة .

غير أننا ينبغي أن نذكر أن مصر كانت تعاني نقص السكان أمّا كان عدد قطانها يبلغ مليونين ، وإننا لم نستطع الزعم بأن هذا النقص قد عولج إلا في القرن الحالي . ولا يمكن

(١) The Economic Development of Modern Egypt.

القول إن مصر مزدهرة اليوم بالسكان ، فهناك مساحات كبيرة من الأراضي حديثة العهد بالاستصلاح في شمال الدلتا وقف تقدمها فعلاً بسبب نقص الأيدي الزراعية العاملة . ففي منطقة شربين تبلغ كثافة السكان ٩٥ نسمة في كل كيلومتر مربع ، وفي كفر الشيخ تبلغ ١١٣ نسمة ، وفي كفر الدوار تبلغ ١٣٠ نسمة . وتبلغ كثافتهم من ناحية أخرى في مابين السكوم ٨١١ ، وفي منوف ٧٦٨ ، وفي ميت غمر ٧٠٦ . ويبدو أن في هذه المناطق عدداً زائداً على الحاجة من السكان . والمشكلة الرئيسية هي مشكلة سوء توزيعهم . غير أن الفلاح محافظاً بطبعه ومن أعسر الأمور إقناعه بتغيير مكان سكنه ولا سيما أهل الصعيد الذين يعيشون في مصر العليا .

وليس ثمة بوادر تدل على احتمال ازدهار البلاد بالسكان في الغد القريب لأن الأراضي الصالحة للزراعة في مصر يمكن زيادتها بمقدار ٥٠ في المئة إذا أنفقت بضعة ملايين من الجنيهات على الري والصرف .

وبديهي إننا سنصل في النهاية إلى المرحلة التي تصبح فيها زيادة مساحة الأراضي الزراعية صعبة أو مستحيلة . وكلما زدنا الضغط عليها أدى ذلك إلى نقص الغلة في مناطق واسعة . وإذا ظل عدد السكان ينمو طوال هذه المدة ، فقد ينشب أمام أعيننا خطر زيادة ضغط السكان على موارد البلاد . بيد أننا نستطيع أن نأمل ، قبل بلوغ تلك المرحلة أن يفضي التعليم العام وتوفير الوسائل الصحية ، والتأثير النفسي للقرى النموذجية ، والعوامل ذات التأثير التي تستخدم الآن (كالسيارات واللاسلكي والجمعيات التعاونية ... الخ) أن تفضي جميع هذه العوامل إلى غرس الرغبة في الفلاح في تحسين حالته الصحية والاجتماعية ورفع المستوى العام للمعيشة في القرى ، فينمو الجيل الجديد مشبعاً بآراء أوسع أفقاً من آرائنا ، وأقوى عزيمة من أسلافه ، فيرى الفرد — كما يحدث الآن في عدد كبير من البلدان الأخرى — أن يخفض عدد أفراد أسرته رغبة في تحسين حالة معيشة أطفاله .

واتقدم الصناعة -- في هذه الحالة -- شأن كبير . ولا يزعم أحد أن تصبح مصر دولة صناعية تنخلي عن الزراعة كلياً . ومن المبالغة أن نحسب أن الصناعة تستطيع توفير عملٍ لعدد لا حد له من السكان المتزايدة العدد . وتستطيع الصناعة في الآونة الحاضرة أن تستوعب بضعة آلاف آخرين من العمال من السكان الذين قد يصل تعدادهم قريباً إلى عشرين مليوناً . غير أن الأجور المرتفعة التي يتقاضاها العمال في الصناعة من شأنها أن ترفع مستوى المعيشة في الريف إما مباشرة : بأن ترفع المستوى ارتفاعاً كلياً بالنسبة لما كان عليه قبلاً ، أو غير مباشرة : بأن تزداد هجرة الريفيين إلى المدن وسيطرد ازدهار الصناعة بدورها

لأن تحسين مستوى المعيشة في المناطق الريفية سيؤدي حتماً إلى زيادة حاجات الريفيين . وكلما تحضر الشعب كثرت مطالبه وزادت حاجاته .

غير أننا لا نستطيع أن نرجو حدوث تقدم فعلي ما لم يحقق الرخاء الزراعي . ويجمع جميع المطلعين ، وتجمع الإحصاءات كذلك ، على أن الأراضي التي تروى رياً دائماً رغم أنها تنتج أكثر من محصول واحد في العام ، تميل سريعاً إلى فقدان خصوبتها . وتحتاج تبعاً لذلك إلى مقادير مطردة الزيادة من الأسمدة والمخصبات الكيميائية . وحتى بعد التوصل بهذا العلاج ، يصبح معدل المحصول أقل بكثير من محصول الأراضي التي تروى بنظام ري الحياض . ويحتمل أن تكتشف في المستقبل وسيلة تجمع بين الخصوبة التي تنأى من تلقاء ذاتها وفقاً لنظام الحياض ، وبين زيادة عدد المحاصيل التي تنتج عن نظام الري بالترع (أي وسيلة تجمع بين خير ما في نظامي الري الدائم والحوضي) . ومن الضرورات الأولى لتحقيق هذا ، اتباع نظام الصرف الملام . أما الضرورة الثانية فهي إتاحة فرصة كافية للتربة لتستريح فيها .

وقد يأتي زمن بوضع فيه تشريع ينص على الفترات التي تستريح فيها التربة في شتى المناطق . وقد يكون من الصالح إلى جانب ذلك أن تغطي الأراضي التي « تستريح » من عناء الزراعة بماء الفيضان مرة في كل سنتين أو ثلاث سنين لكي تجدد التربة شبابها بانتظام وتستعيد خصوبتها ومقدرتها الإنتاجية .

ويبدو أن أيسر سبل الإصلاح اتباع ما يلي :

أولاً — يجري العمل سريعاً لتحويل الأراضي الخاضعة لنظام الحياض في مصر العليا إلى أراضٍ تروى رياً دائماً . وسيؤدي ذلك إلى إضافة نحو مليون فدان أخرى إلى الأراضي التي تروى رياً صيفياً وإلى زيادة بمائة في مساحة الأراضي التي يمكن زرعها قطعاً . ثانياً — ينبغي درس مسألة إنشاء خزانات كبيرة أخرى في أطلي النيل . ويمكن القول إن ضبط النيل ، لأنه لم يتم حتى الآن ، لم يبدأ بعد . وما دامت مقادير كبيرة من الماء تضيع هباءً في كل خريف مع الفيضان ، وجب أن نقول إن ضبط النيل غير كامل . وقد وضعت فعلاً بعض المشروعات لإنشاء سلسلة كاملة من الخزانات عند منابع النيل ، ويرجى أن تقضى هذه المشروعات عقب تحقيقها إلى التحكم في هذا النهر الجبار المارد ، ووضعه تحت إشراف مهندس الري وإمرته .

وسيموزنا مورد مطرد الزيادة من الماء لري وإصلاح ما يربى على مليون فدان من الأراضي في الوجه القبلي رياً سنوياً ، وإصلاح نيفٍ ومليون فدان من الأراضي البائرة

في الوجه البحري ، ولزيادة مساحة الأراضي المزروعة أرزاً وتحسين وسائل الري في الوجه البحري وتوفير الماء اللازم للتبكير بزراعة محصول القمح النيلية الكبير . ويقدر أن مقدار الماء الذي يخزنه خزّان أسوان وجبل الأولياء في الوقت الحالي لا يتجاوز نصف الكمية التي منحتناج إليها عند تنفيذ مشروعات الإصلاح .

وتتقدم الآن أعمال تحويل الأراضي إلى الري الدائم وإصلاحها في الوجه القبلي تقدماً حثيثاً . أما في الدلتا فإن نشر وسائل الصرف من جهة ، وزيادة موارد الماء الصفي من جهة أخرى ، هما من الضرورات الأولية لمباشرة أعمال إصلاح الأراضي المزمع تنفيذها . غير أن كل تقدم آخر يعرفه قلة الأيدي العاملة — وهو أمر يبدو عجيبة في بلد مكتظ هكذا بالسكان . ومن الصعب ، ولا سيما في الوجه القبلي ، إقناع الفلاح بالمهاجرة علاوة على أن مما يعرفه الهجرة رأس المال الكبير الذي يمس الحاجة إليه في كثير من الأحوال . ولذلك ، قد يبطئ التقدم في الوقت الحالي إلى أن يزداد عدد السكان في تلك المناطق ويتوفر رأس المال اللازم .

وينبغي أن نلاحظ أن تحويل الأراضي التي تروى بالحياض إلى الري الدائم لا يصادف تأييداً إجماعياً ، لأن الخبراء الزراعيين يقولون إن خصوبة التربة تميل إلى الهبوط ، وإن معدل الإنتاج يميل إلى النقص إذا عولجت الأراضي الزراعية بهذه الكيفية . وهنا تبدو مشكلات الصرف ، ونعوزنا مقادير متزايدة من الأمدة الصناعية الغالية الثمن . والواقع أن النظام الحالي يؤدي إلى ضياع قدر كبير من الانتاج ، فبدلاً من أن يستخدم طمي النيل الخصيب في تجديد التربة سنوياً ، يضيع هباءً ويلقي به النهر إلى البحر مما يضطرنا إلى تعويض هذا النقص باستخدام الأمدة الكيميائية . والنظام المنطقي الصحيح هو أن نعمل على الجمع بين الري الصفي والفيضان السنوي ويمكن تحقيق هذا في مساحات كبيرة من الأراضي التي لا تزال تروى حياضياً باستخدام مضخات ارتوازية بدلاً من تحويل الأراضي من الري بالحياض إلى الري الدائم . وقد يتبين لنا مستقبلاً أن من الخير استخدام نظام الفيضان الموسمي في المناطق التي حولت فعلاً .

وعلى كل حال ، فإن النظام الحالي ، وضياع ماء الفيضان المحمّل بالطمي في البحر المتوسط هو تبذير وإسراف حلمان لا مدعاة لهما وإفراط في مواد ثمينة . فإن ثلثي ما يجري في بحري النيل من الماء ، يصب في البحر المتوسط سنوياً ويحدث هذا في أشهر الفيضان أي من شهر أغسطس إلى شهر ديسمبر عندما يستمدّ النهر تسعين في المئة من مائه من نهرى عطبرة والنيل الأزرق ، ويكون الماء محملاً بمحمل مخبي من الغرين من جبال اثيوبيا . وكان جزء

كبير من
قبل أن ي
على مصر
فيندفع الم
صفاء الب
الغرين إلى
ثمانية آلا
ولو
للدلتا بدل
المساحات
(المت
الحكومة

بحري
«
«
«

وكل
القنوات ،
الشمالية .
طبقات مم
بحري الفيض
ساحل الب
المشروعات
جنبيه سن
المستديم
وبتنة

كبير من هذا الماء يحوّل إلى الأحواض (وفقاً لنظام الري بالحياض) فيرصب الطمي فيها قبل أن يواصل الماء سيره إلى البحر . أما اليوم ، فإن عيون جميع القنّاطر والسدود تفتح على مصراعيها إبان فترة الفيضان خشية أن يعوق الطمي عملها أو أن يرصب في الخزانات ، فيندفع الماء كله بسرعة دفّاقة رأساً إلى البحر حاملاً معه شحنة غنية من التربة البكر ، تمكّر صفاء البحر المتوسط وتحمل زرقته إلى لون ترابي قائم لمسافة بضعة أميال ، ثم يضيع هذا الغرين إلى غير رجعة . ويقدرّون أن الطمي الذي يفقد في كل عام لو وزع توزيعاً عادلاً على ثمانية آلاف فدان ، لبلغ ارتفاعه متراً .

ولو أن هذا الراسب الثمين اختزن في البحيرات المنخفضة على طول الساحل الشمالي للدلتا بدلاً من قذفه إلى البحر المتوسط لأمكن سريعاً - وبدون كبير نفقة - تحويل هذه المساحات الشاسعة إلى أراضٍ خصبة صالحة للزراعة .

(المترجم : تبلغ مساحة البحيرات الشمالية التي يشير إليها الكاتب حسباً جاء في تقويم الحكومة المصرية لعام ١٩٣٨ ، ٦٤١٠٠٠ فدان تفصيلها كما يلي :

بحيرة مريوط ٥٩٠٠٠ فدان

« ادكو ٣٥٠٠٠ »

« البراس ١٤٠٠٠ »

« المنزلة ٤٠٧٠٠٠ »

جملة ٦٤١٠٠٠ فدان

وكل ما يعموزنا لاصلاح هذه البحيرات هو تحويل ماء الفيضان بوساطة سلسلة من القنّوات ، إلى البحيرات ، ثم ترك الماء يشق طريقه إلى البحر بنفسه عن طريق الفجوات الشمالية . وسيفضي إبطاء مجرى النهر إلى ترسيب الطمي في قعر البحيرات وسرمان ما يؤلف طبقات مميكة . وكلما ارتفع مستوى الأرض بما يرصب عليها من الغرين ، أمكن تحويل مجرى الفيضان إلى مناطق أخرى . ولا يزال في الوجه البحري أراضٍ واسعة منخفضة بطول ساحل البحر المتوسط يمكن إصلاحها . غير أنه من الضروري الاسراع في تنفيذ هذه المشروعات في أقرب وقت ممكن . ويقدرّون أن قيمة الغرين الذي يضيع الآن تبلغ مليون جنيه سنوياً . وقد بلغت الخسارة الآن حدّاً أعلى بسبب تحويل أراضي الحياض إلى الري المستديم .

وبتنفيذ مشروعات الري الجديدة مستقبلاً في السودان وأثيوبيا وأوامط أفريقيا ،

يمكن التدرج في ضبط النيل . والهدف الاسمى الذي يهدف اليه مهندس الري هو الوثوق من عدم ضياع قطرة واحدة من ماء النيل . وسيأتى الوقت الذي فيه لا يقذف الى البحر سوى ماء الصرف المحمل بالأملاح . ولكن قبل أن يجيء هذا الزمن ، ينبغي أن تلتفت مصر إلى تدبير هذا المورد المؤكد من الثروة التي تضيق اليوم هدرًا .

ولعل مشكلة الصرف أدعى إلى الاسراع في علاجها من سواها ، فقد أدركت الحكومة أن من الواجب عليها في هذا الصدد توفير مصارف عميقة رئيسة مجهزة بمضخات قوية لتجعل مستوى ماء التربة منخفضاً . غير أن هذه المصارف الرئيسية ، لكي تصبح ذات تأثير فعال ، تحتاج إلى أن تكون متصلة بعدد لا حصر له من المصارف الثانوية تغطي المنطقة التي يراد صرف الماء منها بأسرها . وإن توفير هذه المصارف مهمة كبيرة تلقى على عاتق الحكومة لأنها لا تملك الهيئة التي تشرف عليها أو الوسائل التي تعالجها بها ، وليس من وصيلة لإرغام أصحاب الأملاك أنفسهم على توفير المصارف في أراضيهم . ولن يكون من المتيسر تنفيذ هذا . فنظام الصرف ، ليكون فعالاً ، ينبغي أن ينظم في رقعة واحدة واسعة بمقتضى نظام تعاوُن يكون لكل فلاح نصيب فيه . غير أن عدداً كبيراً منهم لا يملك المال اللازم لتحقيق هذا المشروع الكبير النفقة . فضلاً عن أن توفير المصارف المكشوفة (كالترع) مضيفة للأرض التي تشغلها لأن عشرة في المئة من الأراضي المزروعة تستغل في المصارف المكشوفة . أما صغار الملاك ، فإن حفر مصارف مكشوفة ، مهما تكن صغيرة ، كافٍ لأن يشغل أرضهم بأسرها . وحل هذه المشكلة قد يكون بتوفير مصارف مغطاة ، وهي أنابيب تمتد تحت الأرض على عمق مناسب بنظام منحدر قليلاً لتستدرج ماء التربة إلى قنوات الصرف . ولهذا النظام مزايا جمة ، فتمّ تحقيق هذا المشروع ، لن تحتاج الأنابيب إلى نفقات أخرى لصونها ، ويصبح الصرف مؤكداً ، ولا يضيق شيء من الأرض كما هي الحال في المصارف المكشوفة .

ويبدو أن الحكومة ليست على استعداد الآن لتشروع في تنفيذ هذا المشروع الوئابل . غير أنه من الواضح أن المشروع لا يمكن تحقيقه تحقيقاً مرضياً إلا إذا أمكن تنظيمه تنظيمًا مركزيًا . وعلى هذا ، فالحل النهائي هو أن تواف الحكومة الهيئة اللازمة للإشراف عليه ، على أن تقسم الحكومة والزراع نفقاته عن طريق زيادة الضرائب الزراعية مثلاً .

القطن المصري

ويبدو أن هناك شيئاً من الريب في أن يظل القطن لسنوات قادمة محور الاقتصاد المصري . فليس في مصر محصول سواه يمكن زراعته في مساحات واسعة وبيعته بمقادير كبيرة تدر على الفلاح المصري ريعاً يوازي ريعه من بيع محصول القطن . وإذا كانت الزراعة القطنية قد تقدمت في مصر ، فسبب ذلك راجع إلى أنها برهنت على نجاح شاهده محمد علي ، وهو الذي أدخل هذه الزراعة في مصر ، ثم أحسّ به الفلاح نفسه . وإن أيّ زول كبير في سمر القطن قد يفضي — وكثيراً ما أفضى — إلى عدول بعض الفلاحين عن زراعته وقتياً واصتبداًه بمحصولات أخرى . غير أن الأسعار ما تكاد ترتفع حتى يقبل الفلاح من جديد على استنبات القطن .

ويمحتمل كذلك أن تواصل مصر إصدار نسبة كبيرة من محصولها إلى الخارج وقد أفضى تقدم صناعة الغزل والنسيج في مصر إلى حجز مقادير مطردة الزيادة في هذه البلاد للاستهلاك المحلي . ومصر تستهلك في الآونة الحالية خمسة في المئة من المحصول لاستخدامه في صناعة النسيج المحلية . ويوازي انتاج المنسوجات القطنية المحلية نحو ثلث ما تحتاج البلاد إليه منها . فإذا أتى وقت استطاعت فيه مصر أن تنسج كل ما تحتاج إليه من المنسوجات محلياً ، فلن تستهلك سوى خمسة عشر في المئة من الانتاج القطني الحالي . وإذا زادت غلة القطن مستقبلاً ، كما هو متوقع ، فإن النسبة ستخف عن هذا التقدير .

والواقع أن شطراً كبيراً من الحاجة المحلية ينصب على السلع القطنية الرخيصة وكان يمكن مواجهة هذه الحاجة باستخدام القطن ذي التيلة الضعيفة كالقطن الهندي مثلاً . ولكن الحكومة تحظر الآن استيراد القطن من الخارج ، والنتيجة المباشرة لهذه الحالة هي أن تعتمد المصانع المحلية إلى غزل القطن المصري الجيد لاستخدامه في أغراض ليست كبيرة الشأن . ويبدو أن من مصلحة الاقتصاد المصري عامة الترخيص باستيراد قطن ذي تيلة رخيصة لينسج في المصانع المصرية مما يؤدي إلى خفض أسعار السلع القطنية للطبقات الفقيرة وإلى بيع القطن المصري ذي الرتبة العالية بأسعار مرتفعة في الخارج .

ومن الضروري لمصر كذلك أن تعرف بالتحديد أي اتجاه في التقدّم القطني يحقق لها خير مصالحها مستقبلاً . فنذ نشوب الحرب (المترجم — حرب ١٩١٤ — ١٩١٨) وضعت سياسة لا إجراء التجارب تعدّل كلما تحوّل اتجاه السوق . فحدث بعد الحرب مباشرة أن زاد الطلب زيادة غير عادية على القطن طويل التيلة كالسكلاريديس وزاد سعره

على سعر القطن الأميركي كثيراً . وكان الفلاح يتبين أن من الخير له أن يزرع مساحات شاسعة من أرضه بالسكلاريديس رغم إن معدل إنتاج القطن لم يكن كبيراً جداً . وعلى كل حال ، اتجه الرأي منذ ذلك الحين إلى زراعة أنواع رخيصة من القطن للأغراض التي كان السكلاريديس يستخدم فيها قبلاً ، وانخفض سعر هذا القطن لأن الأسواق محدودة نوعاً . وإذا دعت الحاجة مستقبلاً إلى زراعة هذا الصنف الممتاز من القطن ، فلا يُظن أن تستطيع مصر مواجعتها سريعاً .

والسوق الآن محدودة في وجه هذه الأصناف ، غير أن هناك سوقاً غير محدودة للقطن المعروف باسم Uppers . والواقع أن القطن المصري من هذا النوع أجود من القطن الأميركي حتى أن الغزاليين يؤثرون القطن المصري على الأميركي . ولكن نظراً لأن سوق القطن الأميركي توازي أضعاف أضعاف ما تستطيع مصر أن تنتجه من القطن فهناك احتمال بأن يباع أكبر قدر من القطن المصري . والعقبة الوحيدة هي مسألة السعر . فإذا بيع القطن المصري بسعر القطن الأميركي كان معنى هذا أن تباع سلعة جيدة بثمن سلعة أقل جودة . ومن الناحية الأخرى لن يكون من المحتمل بيع محصول مطرد الوفرة بثمن مرتفع ما لم يكن هناك طلب عليه . فينبغي أن تهدف سياسة مصر القطنية مستقبلاً إلى العمل على زيادة الطلب على القطن المصري وعلى جعل البلاد الأخرى تفضله عن الأنواع الأخرى .

أما في ما يختص بالأسعار التي ينبغي أن يباع القطن المصري بها ، فإنها تتوقف على السعر العالمي الذي يتحكم فيه الأميركيون إلى حد كبير . وكل ارتفاع أو نزول في الأسعار في أميركا يصحبه تأثير مماثل في مصر . وقد يتفاوت السعران قليلاً ، بيد أن المعروف عادة أن مصر عاجزة عن أن تؤثر تأثيراً حاسماً في سعر القطن في العالم . والأمر الوحيد الذي يتحكم فيه مصر إلى حد ما ، هو أفضلية القطن المصري على القطن الأميركي . وتستطيع مصر إذ تعمل جاهدة على تعريف الغزاليين والعملاء التجاريين بجودة القطن المصري مما يؤدي بدوره إلى زيادة الطلب عليه ، أن تزيد الدخل الاجمالي الذي تظفر به من بيع المحصول . وليس في الطاقة تحقيق هذا إلا بالدعاية المنظمة وإنفاق بدر المال على الاعلان عن القطن المصري . وسوف تغطي نفقات الاعلان عدة مرات بما تربحه مصر من بيع قطنها .

ولهذا الأمر أن كبير لأن الموقف الحالي في ما يختص بإنتاج العالم من القطن غير مستقر منذ عام ١٩٣٢ احتفظ سعر القطن بمستوى مرتفع بسبب النقص الكبير في إنتاج القطن الأميركي . وعكفت الدول الأخرى على تحيّن هذه الفرصة فزادت إنتاج القطن بنسبة كبيرة حتى تضاعف الانتاج فيها منذ عام ١٩٣٢ . ولا يتوقع أن تستمر هذه الحالة بدون تغيير

والإجراء البديهي قطعاً والمصالح المت تركيز السيطرة على وينبغي هذا إلى غير أن هذا سيكون المحصول الرئيسي أن بعض البلدان بلاريب بنزول أو بدلاً منه . غير أن العودة إلى زرع المحصول الذي ينفق الانتاج (الأحوال الجديدة ويعود إقبال وثانيهما : انتاجه وعلى الرغم من القطن وينبغي أن زيادة انتاج القطن ارتفاع انتاج القطن وليس معنى الحاجة الشديدة لتأسيس الرخاء الا يتضح أنه وفي القدر وحسب ، سيحدث لامناس

والإجراء البديهي هو عقد مؤتمر عالمي للدول منتجة القطن . غير ان زيادة المساحة المزروعة قطناً والمصالح المتباينة للدول التي تزرعه تجعلان من العسير جداً إدراك اتفاق عام . وان تركيز السيطرة على الأسواق في يد أميركا ستنبهه فترة يمكن أن يزيد الانتاج فيها على الاستهلاك ويفضي هذا الى نزول عام في الأسعار . وإذا تركت السوق حرة فان السعر سيحدد نفسه بنفسه ، غير أن هذا سيكون له ضحايا . أما المناطق التي تنتج القطن على الهامش (أي أنه ليس المحصول الرئيسي لها) فستضطر إلى العدول عن انتاجه بسبب نزول أسعاره . ولا ريب في أن بعض البلدان يستطيع أن يتحول إلى زراعة محاصيل أخرى . أما مصر ، فانها ستتأثر بالاربع بنزول أسعار محصولها الرئيسي ، بل يحتمل أن تنوجه النية الى زراعة محاصيل أخرى بدلاً منه . غير أن المزايا الطبيعية العظيمة التي تساعد مصر على انتاج القطن قد تحفزها على العودة الى زرع القطن حالما يعود السعر العالمي الى مستوى اقتصادي مستقر لأن القطن هو المحصول الذي يدر على زراعه أكبر دخل فضلاً عن أن انتاج مقادير كبيرة منه وقلة نفقات الانتاج (باستثناء ايجارات الأراضي ويحتمل أن تنزل قيم الاجارات بسبب هذه الأحوال الجديدة) سيجعلان لمصر مقاماً ملحوظاً كبطل منتج للقطن .

ويعود إقبال مصر على زراعة القطن الى صبيين رئيسيين أولهما ، كما أسلفنا ، جودته وثانيهما : انتاجه الوفير .

وعلى الرغم من التدهور الذي حدث في مستهل هذا القرن ما فتئ متوسط انتاج الفدان من القطن في مصر يبلغ نحو ثلاثة أضعاف متوسط انتاج الفدان في أميركا . وينبغي أن يهدف الفلاح والحكومة الى زيادة المزايا التي تتمتع بها مصر ، وذلك بزيادة انتاج الفدان وتحسين أنواع القطن . وإذا تسنى إتمام ذلك فليس ثمة ما يحول دون ارتفاع انتاج القطن إلى ١٥ مليون قنطار أو أكثر .

وليس معنى هذا أن تزرع مصر القطن دون سواه من المحاصيل الأخرى ، بل إن الحاجة الشديدة لتدعو — على النقيض من ذلك — إلى أن تسعى مصر سعياً حثيثاً إلى تعزيز أساس الرخاء الاقتصادي بإدخال محاصيل جديدة ، والتوسع بقدر الطاقة في زراعة ما يتضح أنه وفير الربح . ولن تقتصر جدوى ذلك على توفير موارد ثروة إضافية كبيرة القدر وحسب ، بل ستساعد على الافلال بقدر المستطاع من التقلب الاقتصادي الذي سيحدث لامناس ما دامت ثروة مصر تتوقف على سعر محصول واحد .

وربع فلسطين

الجمهور الكهيري

وصفت الجمهور الكهيري ، وصفاً مقتضباً وذلك في نبذة بعنوان « ثمرات الحرب (الأخيرة) في العلوم والفنون » نشرت في باب الأخبار العلمية بمقتطف يناير سنة ١٩٤٥ ، ثم ضمن مقال آخر تحت عنوان (أحدث المكتشفات التي أسفرت عنها الحرب الماضية ، نشر في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ ، ثم في غير ذينك الجزئين — فجاءتني عقب ذلك عدة رسائل من فئة من القراء والمشاركين الجدد ، تطلب إلي كتابة مقال مسهب ، على ذلك الجهاز العجيب ، مع توخي تبسيط الموضوع ما أمكن ، فوعدتهم بإجابة رغبتهم عندما تسمح الفرصة ، وهأنذا موفٍ بوعدتي لهم فيما يلي : —

هو جهاز تم اختراعه سنة ١٩٤٠ واهتمت في ذلك الحين بأنه أعظم مستنبطات القرن العشرين . بيد أن رائع منافعه العامة والخاصة ، وكذا ثماره العلمية البانعة المدهشة التي سوف يجنيها العالم في مستقبل أيامه ، وهي التي لم تذع على الجمهور إلا حديثاً ، تحدونا على موافاة قرائنا بما أصغر عنه هذا الاختراع من المنافع الباهرة واليك البيان : —

لا مرأى في القول أن هذا الميكروسكوب قد شق طريقه في عثمات الميادين ، خير البشرية ، فخلق بنا أن نعترف مع التحفظ . بأنه لم ينفقه في خطر شأنه في التاريخ إلا القليل من المخترعات . ولنضرب لك الأمثلة الآتية وهي تشمل أشياء شتى مما تقع عليه أبصارنا في جميع أحوالنا . ولنبدأ بملاسننا أولاً وهي من ألزم لوازمنا ،

فكل منا يكره مثلاً انتفاخ بطنه عند موقع ركبته منه وذلك في جلوسه وعند سيره ، وكانت هذه المعضلة مما حلها الجمهور الكهيري . ذلك لأنه أقوى من سائر المجاهر البصرية بدرجة تتفاوت بين خمسين مرة ومائة مرة . وهذا من شأنه تسهيل الاضطلاع بمهمة فحص الغزل الذي تنسج منه المنسوجات ، ثم تحليله تحليلًا مدققاً ودراسته دراسة محكمة بغية الوقوف على مبالغ تأثيره بالمياه والدهن والخواص ، بل سائر المواد التي تستهدف

لها المنسوجات .

بها الى علاج الغزل

وتشويه شكلها

الفاخر الى است

من سن طاحنة

أقدام وثقله ٥٠٠

أنه يكبر حجم

صور فوتوغرافية

ومن أغرب

ميلاً في الضرس

ونعني بالعالم

المعروف في مدينة

الكيميائية ، وفي

من التلف ، عندما

وقد أصبح

في التاريخ ، بله

أن قدراً طقيقاً

على النقطة التي

اجتاح كثيراً من

من الناس ، وكيف

الشكل تكن في أ

ولم يكونوا مخطئين

الميكروسكوب البصر

عليهم معرفة المصدر

لها المنسوجات . ومن ثمه نجم اختراع أنواع فائقة من الصموغ النباتية إبتغاء التوصل بها الى علاج الغزل لتكسب المنسوجات التي تحاك منه، الدرجة القصوى لمقاومة انكماشها وتشويه شكلها . ومن هذا القبيل أن عالماً من أهل متشيفان تذرّع بهذا الميكروصكوب الفاخر الى استكشاف حقائق كثيرة خاصة بالأسنان البشرية ، اذ جاء بأجزاء دقيقة من سنّ طاحنة ووضعها تحت المجهر الكهربي الضخم النفيس الذي يبلغ ارتفاعه سبع أقدام وثقله ١٣٠٠ رطل انجليزي وثمنه ١٣٠٠ دولار فأبصر العجب العجيب . إذ أيقن أنه يكبّر حجم المرئيات مائة ألف مرة . فاستطاع العالم بذلك المجهر البديع التقاط صور فوتوغرافية للقنوات الخيطية الدقيقة التي تتخلل أضراس كل امرئ .

ومن أغرب الأمور أنه قد تبيّن له أن طول هاتيك القنوات يقرب من خمسين ميلاً في الضرس الواحد ، وأن متوسط ما يحويه من القنوات المشار اليها هو ٨٠٠٠٠٠ قناة . ونعني بالعالم الأمريكي الموماً اليه ، الدكتور . ه . جرولد Dr. C. H. Gerould المعروف في مدينة ميدلند بولاية متشيفان ، وهو مهندس المباحث العلمية في شركة داو الكيميائية ، وفي اعتقاده إمكان الحصول على نتائج مذهلة في منع نقد الأسنان ووقايتها من التلف ، عندما يدخل المجهر الكهربي في ميدان طب الأسنان .

وقد أصبح ميسوراً للأطباء معرفة المصدر الرهيب للأتفلونزا . وذلك لأول مرة في التاريخ ، بله التمكن من قياسه ومشاهدة شكله . وهو المصدر الذي بلغ من دفته أن قدراً طفيفاً جداً منه يكفي لحقن خمسمائة فأر وقتلها بحقنة منه لا يزيد حجمها على النقطة التي تنتهت بها هذه الجملة . وما برحنا نذكر وباء الاتفلونزا المروع الذي اجتاح كثيراً من آفاق العالم منذ أكثر قليلاً من ربع قرن ، حيث قضى على ملايين من الناس ، وكيف كان العلماء حينئذ يعزّون ذلك الوباء الى جرثومة صغيرة عسوية الشكل تكن في أنوف المصابين وحلقهم . ثم اختراع العلماء لقاحاً لعلاج ذلك الداء . ولم يكونوا مخطئين في كشف مصدر المرض ، ولكنهم لم يدركوا صغر حجمه ، ذلك لأن الميكروصكوب البصري المعروف يكبر قطر الشيء المرئي ٢٠٠٠ مرة . ومن ثمّ تعذرت عليهم معرفة المصدر الحقيقي للعدوى لتناهي دفته تناهياً جعل الخيال لا يتكبره وتهدق

به، تطنى عليه وتخفيه عن وسائلهم الكشفية. فأفضى الأمر إلى تضليل الأطباء عند قيامهم بصنع اللقاح الذي أعدوه لذلك القصد. إذ كانت المادة التي استعملوها في تحضيره يظنونها كلها من الفيروس^(١) على حين أنها لم تكن كذلك. بل كان عُشرها خصب منه نفسه وصائرُها من الخلايا الكبرى. أما الآن فإن إدراكهم لحجم الفيروس وشكله وتأثيره في المصاب، (كما تدبّر بالمجهر الكهربي) سيعبّد الطريق للقضاء الأخير على أوبئة الانفلونزا المستعمية المنتشرة في العالم.

ويكاد يستحيل على العقل البشري أن يتصور الآن مبلغ مفعول المجهر الكهربي في مجال تكبير المنظورات. وحسبنا أن نقول إنه يضخم الأبرة المعتادة فيجعلها مثل حجم نصب واشنطن^(٢) ويكبر الجرثومة حتى تبلغ حجم الوسادة. ويضخم كُرَيَّةَ الدم فتصير كحجم مائدة الكتابة.

وبينما يستطيع المجهر البصري المؤلف تخييز الطرف الرفيع لفرخ الورق مثلاً حتى تبلغ ثخانتها ثلاث عقد أصابع، يتاح لهذا الجهاز الجديد تخييزها إلى تسع أقدام. وكذلك يمكنه تضخيم الشعرة البشرية إلى حجم جذع شجرة قطره ست أقدام. ثم إن حقيقة إمكان تكبير الذرات الصغيرة من المواد، فوق أصلها ١٠٠٠٠٠ مرة على الأقل مع الاحتفاظ بجميع تفصيلاتها في صورتها الفوتوغرافية، وكذا تيسير تضخيم الصورة الفوتوغرافية في بعض الأحوال حتى تفوق أصلها ٢٠٠٠٠٠ مرة أو أكثر، هما من العوامل الجوهرية التي تبعث على تحقيق أحلام العلماء، التي فخواها إن جزيئات المادة وذراتها ستصير يوماً ما من المراتب المألوفة. ولا محجب فإن دراسة الجزيئات غدت من الموضوعات التي يعنى بها العلماء. ومن ثمة يزعمون أن الزمن

(١) الفيروس Virus لفظ إنكليزي يقصد به عامل من نواقل العدوى وهو أقل جرماً مما استطاع رؤيته بالمجهر.

(٢) هو نصب مقام في متزه الكايتول حيث شيدت دواوين الحكومة ومجلس نواب الولايات المتحدة الأمريكية. وهو عمود أبيض ضخيم مقام تذكراً لجورج واشنطن أول رئيس لتلك الجمهورية الأمريكية الكبرى ويبلغ ارتفاعه ٥٥٥ قدماً وله مصعد وسلم حديدي مؤلف من ٩٠٠ درجة يرتقيها الصاعد إلى فنته التي يزينا رأس من الإيومينيم. ويمتد ذلك المتزه على شاطئ نهر بوتوماك حيث توجد سلسلة من المباني الحكومية الفخمة ومنها المتحف الوطني والمعهد السمبثوني.

الذي سيتمكنون
إظهار ذرات الأ
عقدة الأصبع
إبصارها.

وقد بُدء في

التي جربت في الق

برتون، وذلك

الدكتور ف. ك

الكهربي في التجا

ويربى عدد المجا

العلوم والصناعا

المباحث التي دار

أما قاعدة اد

الميكروسكوبات

وإنما قوام (الرؤ

بوصلة طاقة كهر

والمعروف أد

الضوء نفسه أي و

أيضاً ولكن دور

أما طول مو

مرة. ومن ثمة تع

صمام كهربي ضخم

وفي ميدان ع

مصادر عدوى ال

الذي سيتمكنون فيه من رؤية الذرة قد أوفى ، ما دام في وسع الميكروسكوب الكهربى إظهار ذرات الأشياء الصغيرة جداً التي لا يزيد قطرها على جزء واحد من عشرة ملايين من عقدة الأصبع . أو بمقاييس أخرى الذرات التي تقل ٤٠٠٠٠ مرة عما تستطيع العيون البشرية إبطارها .

وقد بُدء في أوروبا بالأعمال التمهيدية لهذا الجهاز منذ سنة ١٩٢٠ . أما التجربة الأولى التي جرت في القارة الأمريكية فحدثت في كندا في سنة ١٩٣٦ إذ قام بها الدكتور إ . ف . برتون ، وذلك في جامعة تورنتو حيث أنشأ أول مجهر من هذا النوع في أمريكا . وكان الدكتور ف . ك . زووريكين الموظف بشركة الراديو الأمريكية أول عالم اخترع المجهر الكهربى التجارى الأول وركبه في الولايات المتحدة الأمريكية وذلك في سنة ١٩٤٠ . ويربى عدد المجاهر الكهربى بيمة المستعملة الآن في العالم على ١٥٠ مجهراً . وذلك في ميادين العلوم والصناعات . وكانت صلاحيته للمنافع التجارية إحدى النتائج التي أسفرت عنها المباحث التي دارت في الراديو المصور « التلفزة » .

أما قاعدة إدارة هذا المجهر فهي من المبادئ الإثقابية من كل الوجوه ، في عالم الميكروسكوبات إذ لا تدخل في تركيبه عدسات زجاجية ولا تسلط عليه أشعة ضوئية . وإنما قوام (الرؤية) فيه ، موجات موجهة من الكهربيات تطلق بسرعة لا يصدقها العقل بواسطة طاقة كهربية تبلغ ٥٠٠٠٠ فولط ، ثم تضاعفها المجالات المغناطيسية .

والمعروف أن أقصى قوة التكبير للجهاز البصرى هي ٢٠٠٠ مرة وذلك بحسب نوع الضوء نفسه أي وفق ما يسمح به طول الموجة الضوئية بأمرها ، ويمكن تكبيرها (المرئيات) أيضاً ولكن دون تكبير دقائقها .

أما طول موجة الكهربيات عند ما تطلق بسرعة عظيمة فتعادلها في الضوء ١٠٠٠٠٠ مرة . ومن ثمة تصوير احتمالات التضخيم بها أكبر نسبياً . وهذا الجهاز هو في الواقع صمام كهربى ضخم ، ويعد صنواً أكبر لصمامات الراديو الذي في دارك .

وفي ميدان علم الجراثيم يستعمل هذا الجهاز لمشاهدة البكتيريا وتصويرها ولتكشف مصادر عدوى الأمراض التي تستحيل رؤيتها بالجهاز الضوئى المألوف . ذلك لأنها أدق جداً

كما يكشف بوساطته . كما يستعمل لدراسة تكوين البكتيريا والخلايا البشرية وغيرها من دقائق الأجسام ، التي لم تبصرها عين قط .

ومما يجدر ذكره بشأن استعمال المجهر الكهربى في الميدان التجارى ، أن صاحب مدرسة كبيرة لتربية المواشى في إقليم وآيو منج الواقع في غرب الولايات المتحدة الأمريكية افتنى حديثاً بمجهر كهربى ليأخذ وسيلة لاستكشاف خصب الثيران . ثم استخدم طبيباً بيطرياً ليمارس هذه الدراسة قصد الوقوف على العوامل المختلفة التي تجعل بعض الثيران الخصبة المنتقاة ، التي يخيل لناظرها أنها أصلح ما تكون للفرض المطلوب منها فيخيب النظر فيها إذ يقل نتاجها عن الثيران التي هي أحط منها .

وقد حذت حذوه شركة الأليومينيم الأمريكية فاستخدمت مجهراً كهربياً لمراقبة منتجاتها ، ولمراجعة نماذج المواد وخصها . وأتيح لشركة كبيرة لازيت المعدني أن تكشف بهذا المجهر أسباب انسداد مرشحاتها الضخمة وتوقفها عن عملها ، إذ تبين بوساطته أن مصدر تعطيل هاتيك المرشحات هو افتقارها الى مفتاح محكم يتحكم في الحرارة .

ورب قائل يقول ، عقب اطلاعه على الصور الفوتوغرافية العجيبة التي تصور بالمجهر الكهربى ، ومعني بها صور دقائق عوامل نقل الأمراض ، وأحجائها وأشكالها وتكوينها ، « ماذا عمى أن نستفيد من هذه جميعها ؟ » فنجيبه إن تلك الصور ، حيال الناظر إليها غير الفني تشبه في غرايتها وغموضها ، مثيلاتها التي تصور بأشعة رنتجن . ولكنها عند العالم المتمرن على « قراءة » الصور الفوتوغرافية العلمية ، نبراساً قوياً ينير له غوامض مباحته . وما لا ريب فيه أن اختراع الميكروسكوب البصري المعروف قد عبّد الطريق لاكتشاف الجراثيم ودراستها ، ومنها الخاصة بأمراض التيفود والحمى الصفراء والملاريا والدفتيريا والسل التدرني . وهو الأمر الذي أفضى إلى علاجها واختراع اللقاحات التي تشفيها أو تمنعها . وهذا كله يوضح لنا ماذا يرجى من المجهر الكهربى . ومثال ذلك البعوض ، وهو آفة عامة فإن هذا المجهر الجديد ، يبين لنا دقائق جسم البعوضة إذ يكبرها حتى تبلغ حجم قبة الكابيتول^(١) فيتيح للباحث عن كسب فرصة رؤية التركيب الآلي

المعقد لكل عضو
للأمراض وعدواها
ولا غرو فالمجهر
جداً حتى تظهر دقائق
من مليون من عقد
التفصيلات مستميط
القتال . وقد تمكن
خواتم أحقاباً مد
هناجه . وتسمى أعضاؤه
ولم يكن في وسع المرء
تخيل أشكالها ووظائفها
صورها الفوتوغرافية
« الباشلس » حيث
أكثر من عشر دقائق
وفي خلال عشر
بعد انقضاء نصف
إذ تتبدد ذراتها المط
في زمن يقل عن يوم
بنشدونه بلا فتور ع
ومن الميكشافات
تبيان فيروس مرض
السكر ، إذ يظهر على
وقد غدا في إمكان
إذ يتسنى لهم تحليل

المعقد لكل عضو من أعضاء البعوضة ووظائفه وتكوينه، فيسهل عليهم معرفة طريقة نقلها للأمراض وعدواها.

ولا غرو فالمجهر الكهربي يضخم صورة القصبه الهوائية ليرقة البعوضة تضخيماً عظيماً جداً حتى تظهر دقائقها جلية كل الجلاء، وإن يكن حجمها الأصلي يقل كثيراً عن نصف جزء من مليون من عقدة الأصبع. فمن المعقول إذن، من كل الوجوه، أن نتوقع كون دراسة تلك التفاصيل مستميط لنا الاثام عن معلومات جديدة تؤول الى وقاية الأنام من غوائل البعوض القتال. وقد ممكن المجهر الكهربي العلماء من اثبات إحدى نظرياتهم المحبوبة التي جالت في خواطرهم أحقاباً مديدة ونعني بها احتواء الجسم البشري على قوات دفاعية تدرأ عنه الجراثيم التي مهاجمه. وتسمى أعداء البكتيريا والفيروسات (عوامل نقل العدوى) بـ *Virus* باكتيروفاج. ولم يكن في وسع العلماء دراسة هذه العوامل الدفاعية أو رؤيتها، وإن كانوا قد استطاعوا تخيل أشكالها ووظائفها. أما الآن فقد أصبح في مقدورهم الحصول على سلاسل رائعة من صورها الفوتوغرافية تمثلها سابحة في مجاري الدم، ثم محتشدة فيه بغية مهاجمة القصبيات «الباشلس» حيث يشاهدون الحرب الشعواء التي تنشب بين بعضها وبعض فلا تستغرق أكثر من عشر دقائق ثم تنتهي بهزيمة الجراثيم.

وفي خلال عشرين دقيقة يتمزق شملها وتفتكك أجزاؤها ثم تتحطم تحطيماً تاماً. وذلك بعد انقضاء نصف ساعة. وحينئذٍ تتجلى صورتها الختامية كأنها انفجرت انفجاراً كاملاً إذ تبدد ذراتها المخطمة منتشرة فوق ساحة الوغى. ويتيسر اتمام إحدى هذه الصور في زمن يقل عن يوم فتقوم مقام جواب شافٍ، هو الذي ظل رجال المباحث، الطبية يشددونه بلافتور عشر سنوات.

ومن الميكشفتات التي تكشفها بالمجهر الكهربي فأحدثت انقلاباً في ميدان الزراعة تبيان فيروس مرض البرقشة «التبقيع» الذي ينتاب التبغ (الدخان) والذرة وقصب السكر، إذ يظهر على أوراقها فيفسد محصولاتها فيحضر أربابها سنوياً ملايين الجنيهات، وقد غدا في امكان العلماء دراسة ذلك العدو الأزرق الذي يفسد الدخان، دراسة محكمة إذ يتسنى لهم تحليل تركيبه ومعرفة تكوينه. وستكون الخطوة التالية التي سيخطونها هي

اختراع الوسيلة التي تقضي عليه قضاء مبرماً . (وقد علمت من المطلعين أن وزارة الزراعة المصرية ستقتني مجهرًا كهربيًا عما قريب لتستخدمه في مباحثها)

والمجهر الكهربي يكبر قيلة القطن الصغيرة جدًا فيجعلها تظهر لنا طويلة كممود المصباح . وهذا عدا إظهاره لتكوينها الداخلي . فيتبين الخبراء وجودها كثيرة بشأن سر صلاحية القطن وتفوقه . وهي الصلاحية التي جعلته لاغنى عنه في شتى المرافق وأعمالها .

وبالمجهر الكهربي تيسر لأول مرة رسم ذرات الزبد التي توجد في اللبن الحليب ، لتسهيل فحصها ، وكذلك صار بحث أدق ذرات الصلب بحثًا صحيحًا أمرًا ميسورًا ، بغية تقديم معلومات صحيحة إلى المهندسين ، وارشادهم إلى تحسين أنواع الخاليط التي توجد لديهم منه . وهذا إلى جانب تمكينهم من اختراع غيرها .

وفي مبدان المعائن الكيميائية ، يبين المجهر الكهربي للعلماء طريقة اتحاد جزيئين أو أكثر متشابهين من جزيئات المادة لتكوين جسم مركب ذي جزيئات أثقل وخواص طبيعية مختلفة ، وإن يكن مؤلفًا من العناصر نفسها بالنسب عينها . وهذه هي الوسيلة التي أتاحت تركيب أغلب المعائن الكيميائية المعروفة في هذا العهد .

ثم إن سناج الكربون ، وهو المادة العجيبة التي تمكن إطارات السيارات من قطع مسافات شاسعة تختلف بين ٣٥٠٠٠ ميل و ٥٠٠٠٠ ميل ، قد تمت دراستها دراسة منتجة ، وذلك بالمجهر الكهربي . وقد تكشف للمهندسين الذين يدرسون الذرات الصغيرة ، الألفة العجيبة الكائنة بين المطاط وسناج الكربون . ثم أسفرت مباحثهم في هذا الموضوع عن استيقان ما يحتاج إليه لتركيب المطاط الصناعي ، فنجم عن هاتيك المعلومات ، جعل الكاوتشوك الصناعي يكاد يقوم مقام الطبيعي منه في أداء ما يستخدم فيه من الأغراض .

وبهذا الجهاز الحديث عينه صوّرت صور فتّانة للقتال الذي تدور رحاه بين الجراثيم والبنيسلين ، ومنها صورة تبين الجراثيم التي توجد في الصديد . وذلك في وضعها الطبيعي المضطرب ، وصورة أخرى التقطت عقب حقن الجسم بالبنيسلين وهي تمثل الجراثيم ممزقة مشرّ تمزيق .

× وما برح العلماء يهدفون إلى إتمام جهاز مساعد لهذا المجهر المصري ليكشف لهم

عن العناصر التي
هو اختلاف سر
بتوسيع نطاق
وذلك بمعاونته
وتكثير غلاتها .

ويؤكد كثير
شخصية المرء أو
أيضاً عوامل نقل
أما وقد أصيب

عمى أن يحول در
جيل بغيره ١٢
فاذا حل ذلك

صار في وضعنا
المجهر وتحسينه أ
المختلفة ولا سيما في
خطوط مستقيمة

هاتيك المجالات تق
تنبعث تلك الكه
وتركّز بمغناطيس
وبعد كتابة

(اختراع جديد يمكن

(١) وهذا ما فنته
نستطيع المجالات المنف
بحرطوم ري الحقائق
جزء .

عن العناصر التي يؤلف منها كل نموذج يعرض لخصه به . وقوام ذلك التحليل الكيميائي ، هو اختلاف سرعة الكهربات في الذرات المختلفة الانواع . ويتنبأ مهندسو المجهر الكهربي بتوسيع نطاق استعماله توسيعاً يهتم ميدان الزراعة فيصبح وسيلة لتحسين المزروعات وذلك بمعاونته للباحثين على كشف وسائل جديدة لمكافحة آفاتهما وزيادة أحجام المنتجات وتكثير غلاتها .

ويؤكد كثير من العلماء وجود هرمونات (رسل كيميائية) ذات تأثير ثابت في نضج شخصية المرء أو قعها . وأن المورثات «عوامل الوراثة» التي توجد في الخلايا الجنسية هي أيضاً عوامل نقل الميزات الوراثية . ثم يقولون : —

أما وقد أصبحت الجزيئات وربما الذرات أيضاً قريبة من حيز الرؤية البشرية ، فإذا عسى أن يحول دون مشاهدة هاتيك الهرمونات المورثات ثم دراستها . وهي التي تربط كل جيل بغيره ١٢

فإذا حل ذلك العصر المرتقب الذي سوف يتمكن فيه من السيطرة على الوراثة والخصية ، صار في وسعنا تجديد الجنس البشري تجديداً رائعاً . والمعروف من تاريخ اختراع هذا المجهر وتحسينه أنه منذ سنة ١٩٣٠ حدث تقدم عظيم في تحسين المجاهر الكهربية في الدول المختلفة ولا سيما في ألمانيا إذ تبين للعلماء أن الكهربات تسير في الصمامات المفرغة من الهواء في خطوط مستقيمة إلا إذا اعترضتها مجالات كهربية أو مغناطيسية . وأنه من الميسور جعل هاتيك المجالات تقوم مقام العدسات الزجاجية وتعمل عملها . وأن في نوع من المجاهر الكهربية تنبعث تلك الكهربات من فتيلة ساخنة ، كما هي الحال في صمام الراديو ، ثم تنتقل طحلاً وتركّز بمغناطيس على الشيء المراد فحصه (١) .

وبعد كتابة ما تقدم اطلعنا على نبذة في إحدى المجلات العلمية الأمريكية بعنوان (اختراع جديد يمكن المجهر الكهربي من رؤية الدقائق التي لا يزيد حجم كل منها على جزء من

(١) وهذا ما قلته حرفياً في مقال على معجزات العلوم والفنون نشرته في مقتطف مارس سنة ١٩٤٦ نستطيع المجالات المغناطيسية والكهربية توجيه موجات الكهربات الى أي صوب كما يتيسر لك توجيه المياه بحرطوم ري الحقائق الى أية ناحية تقصدها .

٥٠ بليوناً من عقدة الأصبع فرأينا أن نلحقها بهذا البحث مسرورين لأنها تحقق ما تكهن به العلماء وورد ذكره في هذا المقال وذلك في الفقرة المميزة بهذه العلامة \times بصفحة ٣٥٩ قد تمت حديثاً زيادة قدرة المجهر الكهربائي في تضخيم حجم المرئيات من مائة ألف مرة إلى أكثر من مائتي ألف مرة وذلك بعدسة مغناطيسية حسنة اخترعها الدكتور جيمس Dr. James Hillier هيليار وبمعاونة زميله بري ميث ، وهما يعملان في معاهد المباحث العلمية الخاصة بشركة الراديو الأمريكية في رنستون باقليم نيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية وقد أعلنت هذه الخطوة العظيمة في سبيل فتح العالم الذي هو أحط من المرئيات الصغيرة جداً التي لا ترى بالعين المجردة . وقد تم هذا الاعلان برسالة علمية قدمها إلى المعهد الأمريكي لعلم الطبيعيات الدكتور هيليار ، ذكر فيها أنه قد نجح في تحسين العدسات المغناطيسية التي تركز الموجات الكهربائية تركيزاً بالغاً من شأنه تسهيل تمييز الدقائق التي تنفصل عن الأجسام انفصالاً لا يزيد بعد كل منها عن الأخرى على جزء من خمسين بليون من عقدة الأصبع .

ورغم هذا الظفر العلمي العظيم فقد أوضح الدكتور هيليار أنه لا يزال تجاهه مضلات فنية جمة تستوجب الحل قبل تعميم هذه الدرجة السامية من القدرة على التحليل لتصوير صورة جلية جامعة لدقائق المرئيات ونشرها بين العلماء أجمعين .

والمظنون أن للدقائق المؤلفة للجزيئات الكبيرة ، وكذلك تأثير العقاقير في البكتيريا ستكون من ضمن الأشياء التي سيكشف عنها اللثام فتتجلى للأنام في مستقبل الأيام ولا يخفى أن الصور الصحيحة التي تستطاع رؤيتها ونعني بها الصور الخاصة بتكوين الجزيئات ، ستفتح ميادين رحبة جديدة في الكيمياء العضوية ، وهو العلم الذي حباها بمواد النيون والحريير الصناعي وغيرها من المعجائن الكيميائية . كما أمدنا بالمطاط الصناعي والعقاقير المنقذة للحياة . أما في ميدان الطب ، فنلحق أن معلوماتنا الجديدة الخاصة بالتكوين الدقيق للفيروسات (عوامل نقل عدوى الأمراض) والخلايا الحية ستساعدنا مساعدة جلية على استئصال ذئب اللذان الذين لم تغلب عليهما حتى الآن ، وهما شلل الأطفال والسرطان . ولا يحصى قبل ختم هذا البحث من وصف أجزاء هذا المجهر الجبار

وطريقة استعماله
تنبعث منه كم
هذا القطب الكهربائي
دائرة جوفاء تو
كشعاع موازية لا
يتفاوت بحسب
صورة مكبرة
أيضاً بالجمال الم
المغناطيسات الكهرب
المغناطيسية. ولك
بل يتاح إحداث
تؤلف بشعاع كم
فتصنع بجعل الشع
الشعاع الكهربائي
المراد خصه بالمجهر
من الهواء . ومن
الكهربائي العام
فينجم عن ذلك
رؤيتها .

وقد في المقال
عليه في حينه وهو ،
وهو هي ذي : —
« يقوم التلفون

وطريقة استعماله فنقول إن مصدر الاضاءة في المجهر الكهربي ، قطب كهربي سلبى ساخن تنبعث منه كهيريات فتمرُّ هذه الكهيريات بقطب ايجابى في وسطه ثقب صغير . ويشحن هذا القطب بكهربا ايجابية تجعل مسير هاتيك الكهيريات . وفي المجهر لفة سلك على شكل دائرة جوفاء تولد مجالاً مغنطيسياً يقوم بحثى مجاري هاتيك الكهيريات حثياً يصيرها كشمعة موازية للجسم المراد فحصه فتسلط عليه فتخترق الاشعة الكهربية ذلك الجسم اختراقاً يتفاوت بحسب تكوينه ، حيث يقوم مجال مغنطيسي آخر بمحدها في بؤرة واحدة فتكوّن صورة مكبّرة ، ثم إن الاشعة الكهربية ، التي تؤلف جزءاً من تلك الصورة يتم تكبيرها أيضاً بالمجال المغنطيسي الثالث فتكوّن منها صورة مكبرة أيضاً . فيتبين من هذا أن المغنطيسات الكهربية الثلاثة تقوم مقام العدسات في المجهر البصري . ولذا تسمى بالعدسات المغنطيسية . ولكن هذه العدسات المغنطيسية لا يمكن تحريكها كما تحرك العدسات الزجاجية ، بل يتاح إحداث التأثير المقصود منها بتغيير التيار . والصورة المكبرة في المجهر الكهربي تؤلف بشعاع كهربية خفية ، يتسنى إظهارها بحجاب متألق يتلقاها . أما الصور الفوتوغرافية فتصنع بجعل الشعاع الكهربية تسقط سقوطاً مباشراً على لوح فوتوغرافي . ولما كانت الشعاع الكهربية لا تؤدي حملها إلا في أنبوب مفرغ من الهواء فلا بدّ من وضع الجسم المراد فحصه بالمجهر الكهربي في خوة ملائمة له في المجهر ثم إغلاقه عليه مع تقريغ النجوة من الهواء . ومن الميسور إنجاز هذه الأعمال جميعها في ١٠٠ ثانية وذلك باستعمال المجهر الكهربي العام الذي تصنعه شركة الراديو الأمريكية R. C. A. من طراز EMU - إم - يو فينجم عن ذلك أن الدقائق التي تقل أحجامها عن جزء من مليون من عقدة الأصبع تسهل رؤيتها .

عزّس عنبرى

استدراك

وقع في المقال الخاص بالكتابة المنشور في الجزء السابق من الملتقى خطأ مطبعي لم يتح لنا التنبيه عليه في حينه وهو ، وجوب حذف اللمة الآتية وذلك في سياق الكلام في العمود الاول من ص ٢٩٩ وما هي ذي : —

« فيقوم التليفون مقام بوقه حينما توضع الشمعة في موضعها » فيستقيم المنى ويحول النعوض .

على أننا أ
في العصر الحديث
وتفهم أسبابها
من دعامات التار

تأليف الد

انقسم المؤر
أن اللاهوت هو
واللاهوت كليهما
وكذلك عدم تحد
المفهومين تحديد
المؤرخ أو الناقد
المفهومين : مفهوم
في تاريخ ذلك ال
الفكرة العامة في
معنى الفلسفة وم
ما من شك في
قد توالت عليه أ
والنقض ، وتوات
حادثة باردة الا
ذلك التنوح الفك
ناحية الدين . فك
الدين عن مذاهب
النفس وتأثير الع
واني لعل يقين



مكتبة المقتطف

الطب العربي

مقدمة لدرس مساهمة العرب في الطب والعلوم المتصلة به تأليف الدكتور أمين أسعد خير الله
أستاذ الجراحة في الجامعة الأمريكية في بيروت — ٢٧٤ صفحة من القطع الكبير : بيروت ١٩٤٦

كتاب من الكتب الجامعة في هذا الباب ، وضع مقدمته المرحوم علي ابراهيم باشا
جرّاح مصر الأول عليه رحمة الله فقال إن هذا الكتاب قد وعى تاريخ الطب في مصر والشرق
كله وتضمن المعرفة الطبية منذ كان العرب في الجاهلية الأولى ثم في صدر الإسلام من عهد
الخلفاء الراشدين ، وتوسع في الطب العربي ومؤرخيه ، وكشف عمّا خطه العرب وما
ترجموه .

ولقد ألّف هذا الكتاب باللغة الانجليزية ونشر بها ، فترجمه دكتور من الفضلاء هو
الدكتور مصطفى أبو عز الدين ووضع للترجمة مقدمة هي على إيجازها للتعرّيف بمثل هذا
العمل الكبير تدل أقوى دلالة على تعرف ما كان للعرب من أثر في العلوم عامة وعلم الطب
خاصة . فمن ذلك مثلاً أن ابن الهيثم كان أول من قال بأن شبكية العين هي مركز المرئيات
التي تنقل منها الى الدماغ بواسطة عصب البصر ، وإن وحدة الصورة من الباصرة تنعقد إلى
تأثيرها في الشبكيّتين . واكتشف ابن النفيس الدورة الدموية الرئوية قبل سرقيتوس
بمئتين وخمسين سنة ، ووصف مجيء الدم فاسداً الى القلب ومنه الى الرئة حيث يختلط بالهواء
ثم يعود الى القلب نقيّاً ليوزعه على الجسم . وعلي بن عباس الجوسني سبق هارفي بمئات
السنين إلى كتابة أقرب وصف للدورة الدموية في الاوعية الشعرية . وأبو القاسم الجراح
العربي المشهور والمعروف بالزهراوي استعمل ربط الشرايين قبل إمبرواز بيارى بأجيال وهو
نفسه وصف داء الهيموفيليا وقال إنه « عائلي » . وكان أطباء العرب أول من قال بانتقال
الأمراض السارية بواسطة المخالطة .

على أننا أحوج ما نكون في هذا العصر الى معرفة تاريخنا . ولقد تغير فهم التاريخ في العصر الحديث فانتقل معنا من مجرد رواية الأحداث الى تحليل الحياة العقلية والاجتماعية وتفهم أسبابها ونتائجها وعلاقتها بالحاضر والمستقبل . ولا شك عندي أن هذا الكتاب من دعامات التاريخ المثل في تاريخ العربية .

قصة النزاع بين الدين والفلسفة

تأليف الدكتور توفيق الطويل مدرس الفلسفة بكلية الآداب بجامعة فاروق الاول :

٢٦٩ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٧ القاهرة

انقسم المؤرخون قسمين : أحدهما يرى أن لانزاع بين الدين والفلسفة وعمدتهم في ذلك أن اللاهوت هو الذي ينازع الفلسفة ، أما جوهر الدين فلا . وثانيهما يقول بأن الدين واللاهوت كليهما ينازع الفلسفة . ولعل السبب في ذلك عدم تحديد المقصود بكلمة « فلسفة » وكذلك عدم تحديد المقصود بكلمة « دين » . ولا شك أنه من أصعب الأمور تحديد المفهومين تحديداً جامعاً يقيم البحث في تنازعهما على قاعدة ذات حدود وروابط يأتى بها المؤرخ أو الناقد . ومن حيث بدأت البحث في ذلك الأمر انتهت الى فكرة غامضة في دلالة المفهومين : مفهوم الفلسفة ومفهوم الدين . وإذن تكون مهمة المؤرخ الذي يتصدى للكلام في تاريخ ذلك الصراع إنه لا يجعل همه في التعريف بل في الاثبات والتقرير ، واستخلاص الفكرة العامة في ذلك من مقتضى الواقع ، لا من مقتضى الدلالة التي تتحيز في ذهنه من معنى الفلسفة ومن معنى الدين .

ما من شك في أن هنالك صراعاً وقع بين الفلسفة والدين . وما من شك في أن ذلك الصراع قد توالى عليه ألوان من العقيدة والفكرة والتقييد والتحرر ، والحقيقة والخيال ، والاثبات والنقض ، وتواتره قوى كثيرة هذه جاذبة وتلك دافعة ، وهي حيناً حارة مضرمة ، وحيناً هادئة باردة الانقاس . ولعلني لا أكون مخطئاً خطأ كبيراً إذا قلت أن السبب في ذلك هو ذلك التنوع الفكري الذي ظل يمايل العقل الانساني حيناً الى ناحية الفلسفة ، وحيناً الى ناحية الدين . فكثيراً ما خرجت من بحوث الفلسفة نزعات دينية ، وكثيراً ما خرجت من بحوث الدين عن مذاهب فلسفية . ومرجع ذلك وما له هو لدى الحقيقة العقل البشري ونزعات النفس وتأثير العوامل الاجتماعية والاقتصادية خاصة في رسم الطريق الذي ينتحيه الفكر . واني لعلني يقين من أن المذهب الذي أذهب اليه في هذه الناحية صحيح في مجموعه ، وهو

عندي أن درس مثل هذه الأشياء وبخاصة ظواهر الصراع بين ناحيتين من نواحي الحياة الإنسانية كالدين والفلسفة ، ينبغي أن يخضع أول شيء لتحليل العوامل المحيطة بالإنسان في عصر من العصور وبخاصة عوامل الاجتماع والاقتصاد وما يمتدورها من مظاهر عقلية ومادية . فقد نرى مثلاً أن نبلاء فرنسا قبيل ثورتها الكبرى كانوا ملاحدة نزاعين إلى التحرر الفكري ، فحمي وطيس النزاع بين الدين والفلسفة ، فلما دهمتهم الثورة بويلاتها وأخرجتهم من ملكوتهم وزعت عنهم امتيازاتهم ، ارتدوا مؤمنين بالله واليوم الآخر ، وأموا الكنائس يلتمسون من جدرانها السلوى والمغفرة .

قد يكون هذا المذهب في واقع الأمر هو المذهب الإيجابي في تحليل حقيقة الصراع بين الدين والفلسفة ، ولن نستطيع أن نصل إلى الأسباب الحقيقية في اضطراب هذا الصراع حيناً ، وهدوئه حيناً آخر ، من غير أن نرجع إلى الملاحظات الاجتماعية والاقتصادية . الكتاب الذي نحن بصدد من الكتب التي نحتاج إليها كل الاحتياج ، وقد رتبته مؤلفه الفاضل بحسب العصور ، وحصر كل همه في رواية الوقائع وقصها ، ولعله يوافقنا على مذهبننا الذي نذهب إليه في كتابة هذا التاريخ ، ولعلنا نقوز منه برأي فيه

الآداب السامية

مع بحث متفيض عن اللغة العربية وخصائصها وثروتها وأسرار جلالها ، تأليف الاستاذ محمد عطية الابراشي المفتش العام بوزارة المعارف : ٢٥٨ صفحة من القطع الكبير : ١٩٤٦ : القاهرة

تقصي الاستاذ الفاضل مؤلف هذا الكتاب نشوء اللغات السامية فبدأ بتعريف شامل لما يعنى الكتاب من اللغات السامية ، وعقب على ذلك بالكلام في فروع الأصل اللغوي السامي فمقد فصلاً في اللغة العبرية وعقب عليه بفصول في الفينيقية والآرامية والسريانية ، ثم تخلص من ذلك إلى الكلام في العرب واللغة العربية . ولعل أعظم ناحية من نواحي الكتاب هو اتباع الطريقة المثلى في هذه البحوث وهي الطريقة التاريخية التي تظهر على تسلسل الأسباب وتوالي الصور في انسجام كامل ، يخفق في الذهن فكرة عامة عن موضوع البحث . ولقد قرأت ذلك الكتاب على بعد موضوعه عن دراستي الخاصة ، فإذا بي في صميم آداب العربية ، أربط بين أجزائها وأوفق بين ما تنافر منها ، فأخرج من جُمّاع ذلك بتصوير صحيح في أصل لغتنا العربية المجيدة والكثير من خصائصها التي أضفت عليها من الجمال والقوة ما يجعلها في طليعة لغات العالم كله .

مؤلف مدر
التاريخ وأقصد بال
السياسية التي تقو
تاريخ الشرق إذا
جاسياً في كل الم
العشرين » « وآ
من الكتب التي
مادة التاريخ عما
بمقتضى ذلك فنحن

من شعراء
« أحلام الربيع »
ففي الديوان
وتحمة لعاهل الجور
وتشرشل ، وقصائد
وأبرز صفة في
وايناره المعاني الس
وديوان « أح
إلى المطبعة ولم يسب
وأهدى الغناء
النهضة الفكرية في
نعمها بالرعاية اع
وقد صدر هذا
فيها ميمات صاحب

تاريخ العصر الحاضر

تأليف رفيق التميمي — يفا — فلسطين

مؤلف مدرسي لطلاب الثانوية ، جرى فيه مؤلفه على الطريقة الحديثة في وضع كتب التاريخ وأقصد بالطريقة الحديثة طريقة القصص التاريخية الملائم لتكوين فكرة عن الحالات السياسية التي تقوم في الأزمنة والامكنة المختلفة ، قاصرة على تاريخ العرب والانعطاف نحو تاريخ الشرق إذا جدت حاجة الى ذلك . ولكن المؤلف قد أدرك ذلك النقص الذي يبدو جلياً في كل المؤلفات المدرسية الحديثة ، فعقد فصلاً متمماً في « نهضة العرب في القرن العشرين » « وآخر في الحركة الفكرية في العصر الحاضر » فأكمل بذلك نقصاً نألسه في كثير من الكتب التي يدرس عليها الطلبة في معاهدنا . ولعلنا نستطيع بعد قليل ان ندخل في مادة التاريخ عما قريب تاريخ التغيرات الاجتماعية والاقتصادي ، وتفسير الاحداث الجارية بمقتضى ذلك فنخلص الى جوهر التاريخ ولأسبابه ونترك قشوره وظواهره .

أحلام الربيع

من شعراء الحجاز المحدثين المجيدين الأستاذ طاهر زحشري وقد أخرج أخيراً ديوان « أحلام الربيع » طاقة من الورد جمعت من كل لون زهرة .
ففي الديوان تحية للملكين فاروق وعبد العزيز عند اجتماعهما في رضوى وفي القاهرة ، وتحية لعاهل الجزيرة بعنوان « عودة الصقر » عند اجتماعه بالقطنين السياحيين روزفلت وتشيرشل ، وقصائد شتى فاضت بها قريحة الشاعر في مناسبات متباينة .
وأبرز صفة في الشاعر الزحشري حبه للسهولة غير المتكلفة واجتنابه للجفاف من الكلام وإيثاره المعاني السافرة عن المعاني المستترة .
وديوان « أحلام الربيع » من أول دواوين الشعر الحديث في الحجاز التي عرفت طريقها الى المطبعة ولم يسبقه من قبل سوى بضعة دواوين تكاد لقلتها تعد على الأصابع .
وأهدى الشاعر الزحشري ديوانه لسعادة الدكتور محمد حسين هيكل باشا « من بناء النهضة الفكرية في مصر والشرق العربي » كشجرة من ثمار تشجيعه وزهرة من الزهرات التي تمهدا بالرعاية اعترافاً له بالجميل .
وقد صدر هذا الديوان بمقدمة نفيسة للشاعر المصري الأستاذ - سر كاهل الصير في أوضح فيها محامات صاحب الديوان .

١ - الله

للاستاذ عباس محمود العقاد - صفحاته ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير طبع بمطبعة دار المعارف بمصر

آية جديدة على ما بلغه من الذهن العبقري من النضج ، والتفوق ، تتجلى في هذا
المجهود الجبار ، الخصب ، الذي يقدمه - المؤلف - في حلقة الآثار العقلية ، الخالدة ، عن
بارئ الكون ، ومدير العالم ، ومبدع الكائنات ، فقد تناول فيه هذا الجانب المذكور في
الطبيعة البشرية . والذي يمكن أن يطلق عليه الوعي الالهي . بالدراسة المستوفاة ، والبحث
العميق ، فالإنسان مزود بهذه الحاسة الوجدانية التي تنهض على الإيمان القطري بخالق
الإنسانية ، فليس عمل الأديان إزاء هذا الوعي بالعمل الخالق له ، بل هو بمثابة الغذاء الذي
يتطلبه الكائن الحي ، وتطوره ، وإكتماله ، فالتدين غريزة في كيان الشخصية الإنسانية ،
ولكن هذه الغريزة قد لبثت الدهور . وهي تتخذ مظاهر ساذجة ، بدائية ، مسيرة للحياة
العامة في مختلف ألوانها حتى بلغت أوج حيويتها عندما تهيأت لاستقبال آخر رسالة من
قبل السماء : فعصور الوثنية ، وفترات التوجس من بداوات الطبيعة لم تخل من التدين ، بل
كل هذه أثواب كانت ترتديها تلك الغريزة ، والذي يجرى ، أو يحاول تجريد الإنسان في
ننايا تلك الحقب من التدين يتجنى على الحقيقة ، ويخطئه توخي الانصاف ، والأستاذ
- العقاد - قد إلتكأ على أمتن دطامة عندما رجع بهذه الظاهرة إلى أصولها ، وتبعها في
منابها الأولى ، ثم أخذ يسايرها في شتى صورها عند البدائيين ، والفلاسفة وفي الشرائع
السمائية ، وأخذ يعرض تلك الصور التي استطاع العقل في طفولته ، وشبابه أن يتمثلها
عن - الله - ويناقشها في دقة وفهم ، ومقدرة ، ويفصل في لباقة بين الجواهر ، والأعراض
والألباب والقصور ، وما أكثر ما استنفدت هذه المشكلة من قوى المفكرين الذين استخدموا
العقل ، وتدرعوا بالمنطق ، أو من هؤلاء الذين احتكوا إلى الوجدان ، واستجابوا للعاطفة
والكل يجهد في تدعيم الصورة التي هدته إليها تجاربه الفكرية ، أو ألهمته إياها طاقته
الدينية المشوبة ، ولكن مستظل وراء هذه المحادلات الشكلية ، وبعد هذه الخلاقات العرضية
حقيقة لا يمكن جعلها ، ولا سبيل إلى نسيانها ، أو تجاهلها ، وهي شعور الإنسان القطري
بأن هناك قوى فوق طائفة العقل تمثلها ، ومعرفة كنهها ، تسيطر على الكائنات ، وتدبرها ،
وفق قانون ثابت ، مطرد حكيم ، هذا بعض ما انتهى تقريره بالمنطق الحكيم ، الأستاذ
- العقاد - والإيمان مرده إلى الوجدان ، والشعور ، وما عمل العقل إلا التفريق بين
الباطل والصحيح ، والزائف ، والسليم ، فليس العقل هو الذي يوجد الإيمان بل هو يقويه

ويدهمه عن طريق
من تقدم الفكر
هذه الدعايات المأ
عملها ، وأن التقد
تفوق العقل وإزد
الشبه ، وأمنائها ،
فكم من فلاسفة ،
من أيديهم الحجة
تكثر أشواك ، و
الكثيرين ويملا
المفكر الجسور
ولعل في عمل هذ
في حياتنا الديني
العقل أن يخلعها عل
مشوقة ، تستهوي
خلاصة مكررة
من عناية العلماء
عصارة ما بذلته
المفكرين ، واست
طابع الأستاذ
موضوعه ، وقوة
بجوارها ، هذه
والعناية .

الأستاذ محي
سخية ، جواده ،
جزء

ويدهمه عن طريق العقل ، ويبعد عنه الفوائب فلا ضير ، إزاء هذه الحقيقة ، على كينونة الدين من تقدم الفكر ونشاطه ، هذا التقدم الرائع ، مادام لكل ميدانه ، ومجاله ، ورسائله ، وأن هذه الدعايات المأفونة التي تذهب إلى أن المذاهب الاجتماعية يمكن أن تحل محل الأديان ، وتؤدي عملها ، وأن التقدم كفيل بحل الأديان . فرية باطلة ، لا سند لها ، ولا بقاء ، ومهما كان من تفوق العقل وإزدهار العلم ، فهو يقوي العقيدة ، وفلسف الإيمان ، لا أن ينال منه ، كل هذه الشبه ، وأمثالها ، قد تعرض لها الأستاذ - العقاد - وفندها ، وردّها إلى ما يجب أن تنتهي إليه ، فكم من فلاسفة ، ومفكرين ، نازلم الأستاذ ، واستطاع أن يأخذ منهم قصب السبق وأن يدل من أيديهم الحجة فكانت آية على جبروت هذا العقل الجبار ، الذي افتتح هذا السبيل الذي تكثرت أشواكه ، ومزالقه ، بقدرة ثابتة ، وجنان يقظ ، وقلب ثابت ، وهو طريق يثير إعجاب الكثيرين ويملا قلوبهم رعباً ، وأفئدتهم هولاً ، فيتقون ، وينأون عنه ، ولكن هذا المفكر الجسور ، قد ضرب في أمثاله ، وجاب معاملته ، وقدم ما يحمل أن يقدم من ثماره ، ولعل في عمل هذا الرائد ما يمد السبيل إلى اكتشاف ما يستتر في باطنه من كنوز ينتفع بها في حياتنا الدينية ، والعقلية ، وفي تاريخنا لفكرة الدين ، وإبراز الألوان التي استطاع العقل أن يخلعها على - الآله - وعلى أي الصور تسنى له أن يتمثلها ؟ فهي مراحل مغربة ، مشوقة ، تستهوي اللب وتستلقت الخاطر ، والكتاب يجب أن يقرأه كل مثقف ، ليرى خلاصة مركزة لتلك المجهودات التي أنفقت العصور ، والأعمار في سبيلها ، وينال ما يستحقه من عناية العلماء ، والباحثين من دراسة ، وتعليق ، وأن يستقبل بما هو أهل له ، فهو عصارة ما بذلته البشرية حيال هذا السر العظيم ، ودراسات لنظريات الفلاسفة ، وآراء المفكرين ، واستعراض لكل ما يدور في هذا المجال ، وهو من حيث الدراسة . فهو يحمل طابع الأستاذ - العقاد - وخصائص ذهنه ، من حيث دقة بحثه ، واستيفاء أطراف موضوعه ، وقوة شخصيته ، وعنفوانها ، وأنها تروّعك بحجرونها . مهما كانت الشخصية التي يجوارها ، هذه كلمة مابرة في هذا الكتاب الذي آمل أن يقابل بما هو خليق به من الدراسة ، والعناية .

٢ - الموازنة بين الطائفتين للإمام

شرح وضبط وتعليق للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد

الأستاذ محي الدين من الشخصيات العلمية ، القلائل التي وهبت كل حياتها ، شخصية ، جوادة ، للعلم ، والبحث ، والدراسة ، والتأليف ، في هدوء ، وصمت بعيدة عن

صفحة الاعلان ، غير آبهة بألوان الدعاية ، تاركة لوجودها ، وأعمالها ، أن تنطق بأروع بيان وتجلجل في مسامع العصر ، مفوضة إلى التاريخ — وهو أحكم الحاكمين — تقدير انتاجها ، واصنافها ، فلو أننا نعيش في بيئة تزن الأعمال بالقسطاس المستقيم ، لكان لهذا العالم الثبت ما له في هذا الجو الذي تطفو على سطحه كثير من الفقاقيع ، فلقد زود هذا الجيل بأزواد تنوء بها المجامع الضخمة ، وهو متعدد النواحي العلمية ، من أدبية ، وتاريخية ، ولغوية ، واسلامية ، عميقها ، يحول في ميادينها بقدم ثابتة ، وذهن قوي ، وحسبه أنه قد تولى هذا التراث النحوي الذي تركته العصور ، وهو أشد ما يكون اضطراباً ، مما جعل مهمة الدارس له غاية في المشقة ، والعسر ، حتى كاد اليأس من الانتفاع بهذه الذخائر يقضي على كل شيء ، فأولاهها عنايته ، وأوقف عليها نشاطه حتى استطاع أن يفثني وقد أخرجها جميعاً في أبهى حلة من الإخراج العلمي والتنظيم والتبويب ، والفهارس مما كان له أجل الأثر في المعاهد والجامعات التي تتولى تلك الدراسات العربية ، وقد عزَّ عليه أن يرى كتب الفقه الاسلامي تعاني تلك العلل التي يعرفها كل من تصدى للدراسات الفقهية فأخذ في إصلاحها ، وتهذيبها ، وتقريبها إلى الأفهام ، ولو ذهبت أعداد ما قام به ، ويقوم من تلك الجهود لطلاب القول وحسبه أنه أصبح يتفرد بمكتبة من انتاجه ، واخراجها وهو عالم ضليع ، واسع الاطلاع عميقه ، وأديب ممتاز له ذوقه ، وفهمه ، وبصره في النقد الأدبي ، وهو جزل الأسلوب ، متين العبارة ، غير أنه يرى أن هذه الكتب وهي كل تراثنا أولى بالجهود لإصلاح ما يعتمرها من اضطراب ، ويشيع فيها من خطأ جرَّ عليها احجاف عصور الظلم والركود ، وتزيده تمسكاً بهذه العقيدة عدم توافر الجهود اللازمة في هذا الميدان ، فهو يؤثر دائماً هذا الميدان على غيره ، لأن في إحياء هذه الآثار ، ورد جاذية البلى عن حماها ، نوع من التجديد والمساهمة ، والكتاب الذي نحن بصدد من أهم الكتب التي عنت بالنقد الأدبي ، فهو يدور حول شاعرية شاعرين من خول شعراء الأدب العربي ، وهما : أبو تمام ، والبحري ، فيتناول مواضع الجودة وينبه على مواطن الضعف في آثارهما ، ويحاول أن يبين كل ذلك فالكتاب له قيمته من حيث هو يؤرخ مرحلة من مراحل تطور النقد عند العرب ، ويبصر الناشئ بمواطن الجودة ، وما أخذ الضعف ، ويعين على تذوق الأدب ، وهذا — الكتاب يعد من أمهات الكتب في هذا النوع غير أنه كان يعاني ذلك الداء الخامر الذي يطغى على أمثال هذه الآثار من التحريف والتفويه ، والاضطراب ، مما يحول بينها وبين الانتفاع بها في سهولة ، ويسر ، فاستطاع الأستاذ الفاضل — أن ينقي ما فيه من الشوائب ، ويخلصه من الأغلاط ، ويصلح ما فيه من فساد ، ويؤتبه ، ويتسوقه ، ويضع له الفهارس ، ويخرجه

إخراجاً علمياً ،
لا يضطلع بها إلا
ما يعينهم على هذا
تأدية رسالتهم وكل
والنهوض برسالة الـ

البكباشي عبد
كانت هي فقيرة في
ولم يقف به نشاطه
مجلة للجيش وتنظيم
المطالعة للجنود .
وقد أصدر أخ
مصر القومي ، است
ألوان شتى من تاري
والكتاب بالر
استوفى الموضوع
فحصراً . وهذا الم
صفحة هي بحق جد
وهي « ستكون مف
التقدم به نحو الك
الفلاسفة في جميع
الكثيرة المتعاقبة

كان لليقظة التي
أثرها في كل منحي
تبدو آثارها فيما يذ

إخراجاً علمياً ، دقيقاً ، فهد السبيل للانتفاع بهذا المورد العذب في النقد الأدبي وهي رسالة لا يضطلع بها إلا هؤلاء الذين أتبعتم لهم ثقافة ، شاملة ، مركزة ، ورزقوا من الصبر ما يعينهم على هذه الجهود ، ومن الاخلاص للعلم ، ما يحجب إليهم كل صعب في سبيل تأدية رسالتهم وكل هذه الخلال يتحلى بها هذا الأستاذ الخالص ، وفقه الله لخدمة العلم ، والنهوض برسالة العلماء .

محمد بن عبد العزيز بن عبد العزيز

١ - مصر الظافرة

١٣٠ صفحة من قطع المقتطف - المطبعة الاميرية ببولاق

البكباشي عبد الرحمن زكي مدير المتحف الحربي أديب أغنى المكتبة العربية في ناحية كانت هي فقيرة فيها فأنشأ ثقافة عسكرية . زج فيها بين الأدب والتاريخ والفنون العسكرية ولم يقف به نشاطه عند العمل في حدود عمله العسكري من تكوين مكتبة عسكرية وإدارة مجلة للجيش وتنظيم المتحف الحربي وتقوية روح التأليف والكتابة بين رجال الجيش وتحبيب المطالعة للجنود . فهو ما ينفك بين حين وآخر ينفج المكتبة العربية بأثر جديد له . وقد أصدر أخيراً الطبعة الثانية من كتابه « مصر الظافرة » وهو صفحة من تاريخ مصر القومي ، استعرض فيها حقب التاريخ كما يستعرض موكباً من المواقف اجتمعت فيه ألوان شتى من تاريخ مصر الفرعونية حتى العصر الحديث وذلك في عرض شائق وأسلوب جميل . والكتاب بالرغم من صغر حجمه وضخامة الموضوع الذي تناوله مؤلفه الفاضل ، قد استوفى الموضوع حققه من الأداء فلم يخل بإيجازه بشيء من صور التاريخ المصري عصراً فعصرأ . وهذا الموضوع يتصدى له خبير به فيحسن تصويره ويلم بشتاته ويعرض للقارئ صفحة هي بحق جديرة بما توج به الكتاب بالكلمة الذهبية للمغفور له الملك فؤاد الأول وهي « ستكون مفاخر ماضينا وتراثنا الخالد خير عون لنا في بعث وطننا من جديد ، وفي التقدم به نحو الكمال الانساني ، ذلك الكمال الذي ظلّ - على تناحر الشعوب واختلاف الفلاسفة في جميع الأقطار والأزمان - مذ كان أرسطو حتى تولستوي - حلم العصور الكثيرة المتعاقبة ، والمنارة اللامعة المغربية في آفاق البشرية السامية »

٢ - صحيفة البلاد السعودية

كان لليقظة التي بعثها المعامل العظيم جلالة الملك عبد العزيز آل سعود في الجزيرة العربية أثرها في كل منحى من المناحي عمرانية أو ثقافية ... وآية ذلك تلك النهضة القوية التي تبدو آثارها فيما ينتج أدبها الجزيرة في هذه الآونة .

ولقد نهضت الصحافة هناك في عصره نهضة تبشر برقي، وإسراع في هذا الرقي . فهناك من الصحف الآن ما تضارع صحف البلاد العربية الأخرى، ولها من الرسالة التنقيفية ما يدعو إلى الإعجاب . وفي مقدمة هذه الصحف صحيفتان إحداهما شهرية وهي « المنهل » التي يصدرها الأستاذ عبد القدوس الانصاري — وقد سبق أن نوهت بها في هذه المجلة — والأخرى « صحيفة البلاد السعودية » وتصدر يوم الاثنين من كل أسبوع في حجم الجرائد اليومية . ويتولى إصدارها الشركة العربية للطبع والنشر ورؤس تحريرها أديب ممتاز الذمينة رقيق الأسلوب قوي التعبير هو الأستاذ عبد الله عريف يماونه في ذلك فريق كبير من أدباء الجزيرة العربية البارزين من أمثال الأساتذة أحمد عبد الغفور عطا ومحمد حسن عواد وطاهر زحشري وحسين عرب وحسين سرعان ومحمد حسن فقي والانصاري وحسن عبد الله القرشي وعزيز ضيا وغير هؤلاء ممن يحملون علم النهضة الأدبية في الحجاز .

وقد أصدرت هذه الصحيفة بمناسبة دخولها في سنتها الثانية عشرة عدداً ممتازاً في طباعته الملوثة وفي إخراجها وفي موضوعاته وقصائده ضم الكثير من نتاج من ذكرنا من هؤلاء الأدباء الأفاضل ومن كثيرين غيرهم ، وقد توج بكلمة لحضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفضيل ، وازدان بكلمات لحضرات أصحاب السعادة الأساتذة محمد مرور العبدان وعبد الرؤوف الصبان والشيخ إبراهيم السليمان وفضيلتي الشيخ محمد بن نافع والسيد صالح شطا والأمير الاني علي بك جميل وانها نهضة مباركة يرجع الفضل فيها إلى الجهود التي بذلها عامل الجزيرة العظيم وآل البيت السعودي الكريم الذين يحتضنون النهضة الفكرية ويعملون على رفع منارها وإعادة الحياة الأدبية إلى الجزيرة كما كانت في أزهى عصورها .

الصبر في

اختزال و أكد

وضع حضرة الأستاذ فؤاد و أكد رئيس قسم الاختزال بمجلس النواب المصري كتاباً يتضمن شرحاً وافياً للطريقة التي ابتدأها للاختزال باللغة العربية بعد ما درس طرق الاختزال باللغة الانجليزية وألم الماماً تاماً بكيفية تبسيط هذا العلم واستعماله في سهولة ويسر . ويقول الأستاذ و أكد أن ما حفزه إلى إخراج هذا الكتاب هو ما تبينه من افتقار اللغة العربية إلى مثيل له يسهل تداوله والاعتماد عليه في درس هذا الفن .

لم أك دأفرغ
قصة « سارة » لل
نظري . فالتصان
منهما يكاد يكون
يقطع الصلة بين العا
ولم يسترع انت
جلي في تحيّر عنو
يعنون قطب فصلا
و « مضحكات الرقا
« سخریات » و « أ
ولا أريد أن
طريقته الخاصة في
خاص في معاملة المر
هذا التشابه فرض
واستوقف نظ
عليها العائلة المصر
تؤله لأن يقتحم
تحول له أن يبيت
بها في مر الدار و
حتى بعد أن قطع
هذه دون أن ي
موضوع حلم حله
وفي رأي أ
قصته للواقع المأل

١ - أشواك

للاستاذ سيد قطب

دار سعد ميمر — ١٤٨ صفحة من الحجم المتوسط

لم أكد أفرغ من تلاوة قصة أشواك التي صدرت أخيراً للأستاذ سيد قطب حتى تناولت قصة «سارة» للأستاذ عباس محمود العقاد، لأن مشابهة ملحوظة بين القصتين استوقفت نظري. فالقصتان على ما يتضح من سياقهما مستمدتان من حياة كاتبهما. وموضوع كل منهما يكاد يكون واحداً، فمحوره أن شاباً يحب فتاة فتبدي له الفتاة من التدله والصد ما يقطع الصلة بين العاشقين.

ولم يسترع انتباهي تشابه موضوع القصتين وحده، بل راعني فضلاً عن ذلك تقارب جلي في تخيّر عنوانات الفصول في كل من الروايتين. فبينما يعنون العقاد فصلاً «بشكوك» يعنون قطب فصلاً «بأشواك» وبينما يتخذ الأول العنوانات التالية «وكان صباح» و«مضحكات الرقابة» و«من هي» و«القطيعة» يتخذ الثاني العنوانات التالية «موعد» «سخریات» و«أنثى» و«القطيعة» وجلي أن المعاني تتقارب وإن تباعدت الألفاظ شيئاً ما. ولا أريد أن يؤخذ كلامي على أن الأستاذ قطب نقل من الأستاذ العقاد، فلكل منهما طريقته الخاصة في الكتابة وفي معالجة «تجربة الحياة» التي عرضت له، لكل منهما أسلوب خاص في معاملة المرأة سواء كان ذلك في حياة الواقع، أو دنيا الخيال والتصور، ولكن هذا التشابه فرض نفسه عليّ فرضاً رغم الشقة المسيجة بين زمن قراءة كل من هاتين الروايتين. واستوقف نظري في قصة الأستاذ قطب شيء من التحرر من التقاليد التي تواضعت عليها العائلة المصرية. ومن ذلك مثلاً أن بطل روايته خطب لنفسه فتاة، فكانت هذه المرأة تؤمله لأن يقتحم عليها حجرة نومها ويفجأها وهي أدنى إلى العري منها إلى السر، وكانت تخوّل له أن يبيت في دارها دون أن يعترض والداها على ذلك، وكانت تبسح له أن ينفرد بها في ممر الدار ويعتصرها اعتصاراً ويرشف منها ما شاء من رحيقها المذخور. بل إنه، حتى بعد أن قطع كل صلة بها ذهب إلى دارها فدهش جميع الذين كانوا فيها ولم تحمل دهشتهم هذه دون أن يختلي الخطيب السابق بمخطيبته السابقة بعد استئذان أهلها، ليفاتحها في موضوع حلم حملة يتعلق بأخص خصائص المرأة.

وفي رأي أن القاص اندفع بعض اندفاع في إعداد هذه المواقف لأنه لو تحرّى مطابقة قصته للواقع المألوف اتجنب هذه الأخطاء.

وبعد فاقصة لا تنفقر إلى عنصر التهويق ، وإلى الظلال ، فهي حافلة بهما ، ولعل خاتمتها « الحاملة » أجمل ما فيها لأنها تعرض لنا فكرة جديدة هي « الأبوة التصويرية » أي أن يخال رجل نفسه أباً لطفل ليس من صلبه .

٢ - جرائم واغتيالات القرن العشرين

للأستاذ عبد الحليم الجندي

الجزء الثاني - دار سعد مصر - ١٦٠ صفحة - متوسطة

أصدر الأستاذ عبد الحليم الجندي المحامي بأقلام قضايا الحكومة كتاباً من جزأين عنوانه « جرائم واغتيالات القرن العشرين » تحدث في الجزء الأول عن ابراهيم الهلباوي بك أول نقيب المحاماة في مصر وتناول في السفر الثاني حياة محامين بريطاني وفرنسي أيضاً من فتنهما وتميزوا على أقرانها بما وهبا من استعداد فطري لمراس المحاماة ، كان مهنة المرافعة لم تخلق إلا لها .

والسكسوني هو مارشال هول ، وهو معروف للمصريين بدفاعه الجبار في قضية مقتل الوجيه علي فهمي بيد زوجته الفرنسية مرجريت فهمي ، وقد استطاع بقوة حجته وتحايله على الحقائق واختلافه أموراً لا نصيب لها من الصحة أن ينقذ موكلته مرجريت من المقصلة مع ثبوت جرمها ومغالاة القانون في عقاب مقترف جريمة القتل .

كان رجلاً يناضل المقادير بل ويوجهها حسبما يشاء ، فقد كان في طاقته أن ينتزع من بين برائن الموت متهمين ثبت جرمهم واعترفوا بانهم على الملأ ، أو كما قال الأستاذ الجندي « كان يستخرج القاتل من القفص ليستجوبه كشاهد لا كمتهم ! »

بعثت إليه معجبة به رسالة تثنى فيها عليه وترجوه أن يوافيها بصورة « أكبر المحامين رفاقة وعبقرية » فما كان منه إلا أن بعث إليها زوجياً شكره وأرفق كتابه بصورة محامي خصمه !

ولكن هذا المحامي الذي جعل صوته في ساحات القضاء في بريطانيا كان سيء الحظ في حياته الخاصة إذ حدثت جفوة بينه وبين زوجته وكانت حلبة القضاء ميداناً شهيراً فيه محامي بريطانيا الأكبر وأصبحت أخص علاقته وزوجته موضوعاً لتلكه الألسنة وتجتزئه الأفواه . والمحامي الفرنسي هو هنري رويير ، وهو متفرد في صفاته ، عبقري في فن الكلام وفن الكتابة ، يلعب بالانفاظ لعباً ، ويحاور ويداور ما شاء له المقام حتى يواتيه الظفر بشاره الناضجة

لو أراد لأصبح القرن ولاكنه انقطعت أن أصور هنري روح الحياة ليراه القارئ فاسمعه يقول :

« نحن الآن في

ينام . ولاكنه نهض

ينطلق في سرعة غر

بضع دقائق دون أن

والدلع لبيب النار ،

كلاعب السيف ، ض

أو كما شهروه بالحاوي

أعينهم أعظم شيء في

إنه كتاب ممتع

كتاب كالمعرض أو

وفضائلها . وكاتبه

ولا يدع زفرة إلا

نشرت مكتبة

ويعرف كنيرون من

كثيرة وترجم كتب

في مصر قراء متعدد

خلالها وطرح الروا

وعلامات الموت ا

والسيكومتري (تق

وتتكم . وفي السكت

مراقة ولذة كفيمة

لو أراد لأصبح وزيراً في فرنسا ، ولو شاء لتصدر الساسة في بلاده في مستهل هذا القرن ولكنه انقطع للحمامة مفسحاً وقته بعض الشيء للتأليف والتسويد . وليس في الوصف أن أصور هنري روبير كما صوره الأستاذ الجندي . فقد نشره الكاتب من قبره وبث فيه روح الحياة ليراه القارىء نابضاً بالحياة متجسماً أمام مخيلته .

فأمعه يقول :

« نحن الآن في المحركة ، وما هو ذا النائب العمومي يترافع ، وذلك محام هادى يكاد ينام . ولكنه نهض الآن بإدي الرشاقة ، رفيع القامة ، قوي الصوت ، واضح الكلام ، ينطلق في سرعة غريبة كأنه يخشى فوات الميعاد إنه يتكلم كأنه يتحدث ، وما قدم مضت بضع دقائق دون أن يظهر إنه محام عظيم ، ولكنه قد أوغل في الصميم ، وحملت الوقدة ، واندلع لهيب النار ، وانسافت الحجة متدافعة معجلة ، فهو يضرب يمينا ، ويضرب شمالا ، كلاعب السيف ، ضربات منظمة ، وأحياناً كثيرة ضربات غير منظمة ، تسحر العيون ... أو كما شهروه بالحاوي ، إذ يهر الخلفين بصيحاته وحركاته المتقطعة ، بينما هو يلتقط على أعينهم أعظم شيء في أيديهم ، وهو هنا روح المهيم ! » .

إنه كتاب ممتع ، لأنه كتاب حي . لا نقرأ فيه عن أناس ، وإنما نرى فيه أناساً . كتاب كالمعرض أو كشرائط السينما يحسم لك الحوادث ويبين لك من ظلها أبحار الحمامة وفضايلها . وكاتبه الأستاذ الجندي يمسك بقلمه بإحكام فلا يدع خلجة إلا يحسن تصويرها ، ولا يدع زفرة إلا يحلوها للعيان .

وربع فلسطين

ظواهر الطرح الروحي

نشرت مكتبة الهلال في الفجالة هذا الكتاب لمؤلفه حضرة الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير ويعرف كثيرون من القراء أن حضرة المؤلف توفر على دراسة العلم الروحي وألف فيه كتباً كثيرة وترجم كتباً أخرى عن اللغات الأجنبية . ولهذا العلم أنصار في أوروبا وغيرها وله في مصر قراء متعددون . والكتاب الذي بين أيدينا يبحث في الأحلام والتواصل الروحي خلالها وطرح الروح خلال النوم والعقل الباطن والوحي والرؤيا الصالحة والموت الظاهري وعلامات الموت الحقيقي والغيوبة والتخشب وظاهرة التلبس والتجريب العلمي فيها والسيكومتري (تقصي الأثر في لوحة الفضاء والزمن) وكيف تتحسد الأرواح المطروحة وتتكلم . وفي الكتاب كثير من الصور . ولا شك في أن موضوعات الكتاب وما فيها من مرافة ولذة كفيفة بالاقبال عليه من المهتمين بالشؤون الروحية .

فهرس الجزء الخامس

من المجلد العاشر بعد المئة

وطننا الشرق : اسماعيل مظهر	٣١٣
العائدون (قصة) : محمد طلحة رزق	٣٢١
جريمة أم قصاص (قصة) : ع . ش	٣٣١
الوضع الاجتماعي : الياس يعقوب	٣٣٧
المرأة في البرلمان : نقولا الحداد	٣٤٩
أمس واليوم — حالة مصر الزراعية والقطن المصري : وديع فلسطين	٣٥٣
الجهر السكيريبي : عوض جندي	٣٦٢

مكتبة المقتطف * الطب العربي . قصة النزاع بين الدين والفلسفة . الآداب السامية . تاريخ المعمر الحاضر . أحلام الربيع . ١ - الله - ٢ - الموازنة بين الطائفتين للآمدي ، محمد عبد الحليم أبو زيد - ١ - مصر الظافرة - ٣ - صحيفة البلاد السعودية : الصيرفي . اختزال واكد - ١ - أشواك - ٢ - جرائم واغتيالات القرن العشرين ، وديع فلسطين . ظواهر الطرح الروحي .	٣٧٢
---	-----

٣ - لحق

١٠١ - ١٤٤ المسرحية في شعر شوقي : تأليف محمود حامد شوكت